الفصل العاشر

مرحلة الطفولة

في المدرسة التربوية الغربية لم يكن للطفولة دور يُذكر، فهي مجرد مرحلة عرضية يبتدئ بها (البالغ) حياته ثم سرعان ما تنقضي، ولهذا فلم يكن لها قيمة وظيفية ما دامت لا تعبر عن حياة أصيلة قائمة بذاتها.

أما التحولات الحديثة في تربية الطفل فقد جاءت ثمرة الوعي الحضاري والتقدم العلمي في دول الغرب.. أما في المجتمعات الإسلامية فقد نعمت الطفولة بفضل الإسلام بما جاء به من تشريعات وتكاليف وأساليب كرمت الطفل، وأسعدت حياته، وأخرجته إلى المجتمع إنساناً سوياً[1].

ولقد أكد المنهج الإسلامي في التربية على أهمية مرحلة الطفولة في عمر الإنسان، كما أكدّ على حقوق الطفل الأساسية: في الحياة والنمو والتربية والسعادة.

والإنسان السوي يحب بطبعه الأطفال، فهم زينة الحياة الدنيا، يرى فيهم ثمرة طيبة لزواج ناجح.

أثر البيت في تربية الطفل

والبيت أو الأسرة.. هو المحضن التربوي الأول الذي يعيش الطفل في كنفه، ويقضي فيه أهم سنين حياته..

فإذا كان هذا المحضن واعياً لدوره مقدراً لمسؤولياته تجاه فلذة كبده.. استقام الطفل ونما نمواً طبيعياً.. وإذا كان المحضن مستهتراً جاهلاً، ضاع الطفل.. كما ضاعت أسرته من قبله.

---

(1) دراسات تراثية في التربية الإسلامية - د. محمود قمبر، ص: 15.

والمحضن الصالح، يتكون من رجل صالح، يحسن اختيار الزوجة الصالحة، لبناء البيت المسلم الذي يجهد في رعاية الأبناء وتربيتهم. يقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (فمن أول حق الولد على والده أن ينتقي أمه، ويتخير منهن الجميلة الشريفة الدينة العفيفة العاقلة لأمورها المرضية في أخلاقها، المجربة بحسن العقل وكماله، المواتية لزوجها في أحوالها)[1].

فالطفل يولد مرتين، **أولاهما**: ولادة عضوية، **وثانيهما**: ولادة اجتماعية حيث يتحول إلى عضو في جماعة. وإذا كانت الولادة الأولى ترتبط بعناصر الوراثة، فإن الولادة الثانية ترتبط بالمؤسسات الاجتماعية المختلفة[2].

والطفل أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يُمال به إليه، فإن عُوّد الخير وعُلّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وإن عُوّد الشر وأُهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له[3]. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[4].

وقال النبي ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته: الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها**»[5].

والطفل يولد على الفطرة، والوالدان يتحملان مسؤولية ما سيؤول إليه أمر ولدهما، خاصة وأنه يولد خالياً من أي نقش، ولديه الاستعداد والطواعية الكبيرة لاستيعاب ألوان التربية المختلفة التي تقدم إليه. وعليه فإن دور الوالدين كبير في الحفاظ على فطرة الطفل سليمة نقية، وفي صقلها وتفجير طاقات الخير، وينابيع الإبداع في أعماقها. وعليه فإن اتجاه الطفل الفكري والخلقي والاجتماعي يتأثر

(1) نصيحة الملوك - الماوردي، ص: 162.
(2) الإحياء - الغزالي 3: 78.
(3) المصدر السابق.
(4) سورة التحريم، الآية: 6.
(5) البخاري (كتاب الجمعة - 844)، ومسلم (كتاب الإمارة - 3408).

أولاً وقبل كل شيء ببيئة الوالدين وأفكارهما وأخلاقهما وأساليب تربيتهما. وإلى هذا أشار الشاعر أبو العلاء المعري بقوله:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوّده أبوه

عناية الإسلام بالأسرة

لهذه الأسباب فقد اعتنى الإسلام بالأسرة باعتبارها محضن الطفولة الأول وموطن التأثير الأكبر في مجال التربية.. تتضح هذه العناية من مراجعة تشريعات الإسلام وتنظيماته وتوجيهاته جميعاً..

فأما التشريعات والتنظيمات فقد كفلت قيام الأسرة على رباط شرعي معلن قائم باسم الله، وفي ذلك ما فيه من حفظ الأنساب واطمئنان الأب إلى أبنائه.. واطمئنان الأبناء إلى أبويهم.. وذلك عنصر مهم من عناصر الاستقرار في نفس الطفل.

ولا يدرك أهمية ذلك.. إلا الإنسان الذي يعيش في المجتمعات الفاسدة، حيث الأب يظن بالأم ظن السوء.. وهو لا يطمئن إلى أن الولد الذي يعيش في كنفه هو ابنه.. شقاء حقيقي يحوّل الأسرة إلى جحيم.. يصطلي بناره كل الأفراد.

كما كفلت التشريعات والتنظيمات قيام الزوج بكفالة الزوجة.. لكي تتفرغ لمهمتها العظمى في تنشئة الأجيال.. فإن من أهم أسباب تشرد الأجيال الحديثة من الشباب وانغماسهم في الانحرافات المتعددة.. هو غياب قوامة الأب، وغياب الأم عن رعاية البيت.

وأما توجيهات الإسلام فهي تدعو إلى توفير أكبر قدر من الاستقرار لهذا المحضن الذي ينشأ فيه الأطفال.. فهو أولا يستثير وجدان المودة والرحمة بين الزوجين.. ثم يوصي كلا منهما بإحسان المعاملة والحرص على هذا الرباط من أن تنفصم عراه.. ويدعو إلى علاج كل بادرة خلاف قد يقع..

فالخلافات بين الزوجين تدمّر الزواج، وهي كارثة بالنسبة للأطفال الذين يحتاجون إلى أب وأم متآلفين متحابين، حتى يشعروا بالأمان[1].

---

(1) التربية الخاطئة وعواقبها - زهرة عاطفة زكريا، ص: 11.

كل هذه التشريعات والتنظيمات والتوجيهات تهدف إلى توفير الاستقرار النفسي والعصبي والاجتماعي والاقتصادي للأسرة وتهيئة الجو الصالح لتنشئة الأجيال المقبلة.

فلا شيء ييسر التربية السليمة ويجعلها أقرب إلى إيتاء الثمرة المرجوة من الجو المستقر يحيط بالطفل، والحب المرفرف حوله من خلال الأبوين[1].

إن التوازن العائلي هو الركيزة الأساسية لكل استمرار صحيح، وبالتوازن نبعد عن العائلة عواصف الأيام، ومرارة الدهر، ولا يمكن أن يحصل التوازن في غياب سياسة تربوية معتدلة وحكيمة من قبل الأهل.

أكثر الأخطاء التي يرتكبها الأطفال، هي نتيجة جهل الأهل لسياسة التربية السليمة التي عليهم اتباعها. فهي الكفيلة بمعالجة أكثر المشاكل التي تحصل داخل المنزل[2].

حقوق الطفل قبل ولادته

اهتم المنهج التربوي الإسلامي بالطفل وهو ما زال في بطن أمه:

- فقد أحاط الأم الحامل بالعناية والرعاية الصحية والنفسية اللازمة. ولقد دلت الدراسات الحديثة.. على أن الكثير من عاهات الجنين تعود إلى الاضطرابات العصبية والنفسية التي تتعرض لها الأم الحامل.

ولقد ضمنت المبادئ الإسلامية حماية الجنين من مثل هذه المخاطر، فقد أمر الزوج بحسن معاشرة زوجته ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[3] حتى لا تصاب الزوجة وهي حامل باضطرابات نفسية وعصبية فيتأثر بها الجنين. كما جعل الإسلام رزق المرأة الحامل وسكنها على الزوج وذلك لتكون آمنة مطمئنة.

- وهيأ للأم الأمان والاستقرار، فحملها نتيجة زواج دائم مستقر يشعرها بالأمان والفخر.. وليس مجرد خطأ في الحسابات.. في نزوة عابرة.. تشعر معه الأم بالخوف من المستقبل.

---

(1) منهج التربية الإسلامية - محمد قطب 2: (88-99) باختصار.

(2) أحبب أولادك ولكن - د. خليل محسن، ص: (48-50).

(3) سورة النساء، الآية: 19.

◄ وحتى عندما تنفصل الأم عن زوجها في حالة الطلاق، فقد أوجب الإسلام على الزوج النفقة، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[1].

◄ ولقد منعت السنة المطهرة إيذاء الولد في بطن أمه، فأجلت تنفيذ الحدّ على الأم ما كان في بطنها. قال الإمام أحمد رضي الله عنه: (تترك حتى تضع ما في بطنها ثم تترك حولين حتى تفطمه)[2].

◄ ولقد رخص الشارع الحكيم للحامل والمرضع الفطر في رمضان إذا خافت على نفسها أو على ولدها، قال النبي ﷺ: «**إن الله وضع عن المسافر والحامل والمرضع الصوم وشطر الصلاة**»[3].

◄ ولقد صان الله حق الطفل وحفظه له حتى يخرج إلى الدنيا إن كان من أهل الإرث[4].

كل ذلك لتهيئة الأجواء للأم الحامل.. لتعيش حياة هانئة مستقرة مطمئنة.. تنعكس على الجنين الذي هو جزء منها.. يستمد منها حياته واستقراره وصحته.

حقوق الطفل عند ولادته

وللطفل حقوق عند ولادته.. من هذه الحقوق:

◄ الفرح لقدومه، فمن السنة أن يهنئ المسلمون أهل الولد ويباركون لهم قدومه. والأبناء زينة الحياة الدنيا تسر الفؤادَ مشاهدتُهم، وتقرّ العينَ رؤيتُهم. أما في الآخرة: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[5].

◄ ويُؤَذن في أذنه.. فيكون أوّل ما يقرع سمعه تكبيرُ الله وتعظيمه وكلمات الشهادة التي يدخل بها الإسلام.

---

(1) سورة الطلاق، الآية: 6.
(2) معالم السنن 4: 588.
(3) ابن ماجه.
(4) منهج السنة النبوية - د. بدير محمد بدير، ص: 40.
(5) مسلم (كتاب الوصية - 3084).

- ويحنك.. فقد كان رسول الله يؤتى بالأبناء فيحنكهم.. وفي ذلك من الفوائد الصحية ما يعرفه المتخصصون..
- ويأخذ الطفل بمجرد ولادته مكانته المرموقة من المجتمع.. فيحتفل الناس بقدومه ويجتمعون على عقيقته..
- وتُحسن تسميته.. وفي الأثر عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يتفاءل ولا يتطير ويعجبه الاسم الحسن[1].

وللاسم الحسن أثر كبير في شخصية الإنسان.. ولكل إنسان من اسمه نصيب. ويكرم الطفل بتكنيته. قال الشاعر:

أكنيه حين أناديه لأكرمه ولا ألقبه والسوءة اللقب

- ويميطوا عنه الأذى بحلق رأسه.. في الحديث عن علي رضي الله عنه قال: عقَ رسول الله ﷺ عن الحسن بشاة وقال: «**يا فاطمة، احلقي رأسه وتصدقي بزنة شعره فضة**»، فوزنته فكان وزنه درهماً أو بعض درهم[2].

ومن إماطة الأذى عن الطفل ختانه. والختان من سنن الفطرة وفيه فوائد صحية ومزيد من الطهارة والنظافة. بعضهم يسارع إلى ختان الطفل في الأسبوع الأول، ويرى بعض الأطباء المتخصصين تأخير ذلك في بعض الحالات[3]. ويستحب الدعوة لطعام الختان[4].

حقوق الطفل بعد ولادته

وأهم حقوق الطفل تبدأ بعد ولادته، فقد أصبح عضواً معتبراً في المجتمع. من هذه الحقوق:

حضانته

وحضانة الطفل هي خدمته ورعايته والاهتمام بجميع شؤونه، وتقوم بالحضانة

(1) أحمد (مسند بني هاشم - 2213).
(2) الترمذي (كتاب الأضاحي - 1439).
(3) الإسلام والطفل - د. وجيه زين العابدين، ص: 20.
(4) القوانين الفقهية - ابن جزي، ص: 114 (من كتاب منهج التربية النبوية للطفل - محمد نور الدين سويد، ص: 69).

الأم.. فهي أحق الناس بوليدها، وأشدهم حباً وإخلاصاً وشفقة وحناناً عليه.. جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وحجري له حواء، وثديي له سقاء، وإن أباه طلقني وأراد أن ينزعه مني، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أنت أحق به ما لم تنكحي**»[1].

ورضاعته

ولبن الأم غذاء الطفل، وثديها وحضنها ملجأ له وأمان. قال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾[2]. ولقد أثبتت الدراسات الطبية أن كفاءة الجهاز المناعي عند الطفل تصبح في أمثل صورة لها عند عامين.

ومن الغريب أن تنتشر عادة استعمال اللبن المجفف في تغذية الطفل.. فيبعد الطفل (جهلاً وعناداً) عن لبن الأم، الغذاء الصحي الحقيقي الذي يشبع معدته، ويقيه الكثير من الأمراض، ويعطيه الحب والحنان، فهو العامل الرئيس في تربية الطفل وتنشئته.

وكم في هذا الموقف (الخاطئ) الذي يراعي شكل صدر الأم، على حساب صحة الطفل النفسية والجسمية.. من تباين مع موقف النبي ﷺ في هذه المسألة. عن عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لقد هممت أن أنهى عن الغيلة أي أن ترضع المرأة وليدها وهي حامل حتى ذكرت أن الروم وفارس يفعلون ذلك فلا يضر أولادهم**»[3].

همّ رسول الله ﷺ أن ينهى عن الغيلة مخافة تأثير لبن الأم الحامل على الوليد.. بينما تهتم المدنية المعاصرة بشكل صدر الأم على حساب الطفل!

إنه الفرق بين المنهج الإسلامي في التربية وغيره من المناهج.

وعند رضاعة الأم وليدها.. لا تعطيه اللبن الذي يقيم جسمه فقط، بل تعطيه مع اللبن الحنان والأمان. في الأثر: أن عمرو بن عبد الله رضي الله عنه قال لامرأته

(1) أبو داود (كتاب الطلاق - 1938).
(2) سورة البقرة، الآية: 233.
(3) مسلم (كتاب النكاح - 2612).

ترضع ابناً لها: لا يكونن رضاعك لولدك كرضاع البهيمة ولدها وقد عطفت عليه من الرحمة بالرحم، ولكن أرضعيه تتوخين ابتغاء ثواب الله، وأن يحيا برضاعك خلق عسى أن يوحد الله ويعبده[1].

ولقد أثبتت الأبحاث العلمية أن الطفل الذي يتغذى على لبن الأم يتمتع بالإضافة إلى المزايا الصحية، بصحة نفسية أفضل، ونمو جسماني وعصبي أسلم.. وإن لبن الأم يحتوي على بعض المواد اللازمة لنمو المخ والجهاز العصبي.. وإن ذكاء الأطفال الذين يرضعون رضاعة طبيعية يفوق أولئك الذين يرضعون رضاعة صناعية.

ولقد بيّن الرسول ﷺ أهمية الرضاعة، وعبّر عن سر تأثير اللبن بتعبير علمي وتربوي بأن اللبن يورث الطباع والخصائص العقلية، فقال الرسول ﷺ: «**لا تسترضعوا الحمقاء فإن اللبن يورث**»[2].

والإنفاق عليه

أوجب الإسلام على الرجل أن ينفق على زوجته ووليده.. قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴿٢٣٣﴾﴾[3].

فإذا كان الأب فقيراً.. فقد طمأنه رب العزة بأنه قدم رزق عياله على رزقه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴿٣١﴾﴾[4]. وجعل في الإنفاق على الأبناء أجراً عظيماً.. قال رسول الله ﷺ: «**أفضل دينار ينفقه الرجل، دينار ينفقه على عياله**»[5].

الأمر الذي يجعل الطفل في أمان واطمئنان.. ويعين الأم على صرف جهدها في رعاية طفلها.. بدلاً من أن تتركه للبحث عن لقمة عيشها..

ولكن ما هو الموقف إذا أصبح الطفل يتيماً؟

---

(1) نصيحة الملوك - الماوردي، ص: 166.
(2) مجمع الزوائد 4: 262 (حديث ضعيف رقم 7372).
(3) سورة البقرة، الآية: 233.
(4) سورة الإسراء، الآية: 31.
(5) مسلم (كتاب الزكاة - 1660).

هل يترك لقدره؟

المنهج التربوي الإسلامي شرّع كل ما يحفظ حياة اليتيم وكرامته وحقوقه، واعتبر المجتمع الإسلامي ككل مسؤولاً عنه. قال النبي ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم هكذا**». وأشار بإصبعيه: السبابة والوسطى[1].

وقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ ﴿٢٢٠﴾﴾[2].

وإذا كانت بعض الدول الحديثة تفرض للطفل راتباً بغية تشجيع النسل.. فقد سبق المنهج الإسلامي هؤلاء.. ولنتأمل صنيع الخليفة العظيم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.. عندما سمع بكاء طفل فسأل أمه عن ذلك فقالت: إني أريغه عن الفطام فيأبى علي (أي أحمله على الفطام كرهاً فيأبى)، قال: ولمَ؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا الفطيم، قال: وكم له؟ قالت كذا وكذا شهراً قال لها: ويحك، لا تعجليه.

فصلى عمر الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء فلما سلّم قال:

يا بؤسا لعمر كم قتل من أولاد المسلمين، ثم أمر منادياً فنادى: ألا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق[3].

ورعايته إذا كبر

يحافظ على صحته، بالتطعيم والعلاج عند المرض. ويغرس فيه العادات الصحية السليمة مثل: تعويده على الالتزام بآداب الطعام والشراب والقصد فيه، وعدم التنفس في الإناء. وتعويده على الاغتسال والتطيب والنظافة (الطهور شطر الإيمان)[4]، ويحفظه من حرارة الشمس أو الخروج في جنح الليل، ويعوده النوم على شقه الأيمن..

---

(1) البخاري (كتاب الطلاق - 4892).

(2) سورة البقرة، الآية: 220.

(3) تاريخ عمر بن الخطاب - ابن الجوزي، ص: (84-85).

(4) مسلم.

إن إقبال الطفل على الطعام والتمتع به من الدلائل التي تشير إلى تمتعه بالصحة النفسية والجسمية معاً. . ولذا نجد الآباء يقلقون إذا جلس الطفل إلى مائدة الطعام ولا يأكل، أو يأكل قليلاً جداً برغم ما يبذلونه معه من محاولات الإغراء أو محاولات التهديد أو الإهمال أحياناً. . ولمعالجة هذه القضية الهامة يوصي المتخصصون:

- بأن يكون الآباء على درجة كبيرة من المرونة، وعدم اتباع نظام صارم في تغذية الطفل.
- عدم قسر الطفل على تناول طعامه.
- يشجع الطفل على تناول طعامه مع أطفال من سنه.
- إذا لم يأكل الطفل في الوقت المناسب، ترفع الأم الطعام. وإذا طالب الطفل بالطعام تخبره بأن موعده لم يحن بعد.

وتأديبه وتهذيبه

فالأسرة (أي الأب والأم) مطالبة بصيانة الطفل بأن تؤدبه وتهذبه وتعلمه محاسن الأخلاق وتحفظه من قرناء السوء، ولا تعوّده التنعم، ولا تحبب إليه الزينة والرفاهية فيضيع عمره في طلبها. وعلى الأسرة أن تديم مراقبة طفلها تشجعه إذا أحسن وتسدده إذا أخطأ. قال النبي ﷺ: «**ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن**»[1]. وقال أيضاً: «**لأن يؤدب الرجل ولده، خير من أن يتصدق بصاع**»[2].

ويجوز للأم والأب أن يحملا طفلهما إلى المسجد، فينطبع في نفسه دور المسجد في بناء الجماعة. . وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «**سمعت بكاء صبي فخشيت على أمه أن تفتن**».

إن التضارب في أساليب التربية بين الأم والأب، وتدخل آخرين في تربية

(1) الترمذي (كتاب البر والصلة - 1875).
(2) الترمذي (1874، واللفظ له)، وأحمد (مسند البصريين - 19995).

الطفل مثل: الخادمة أو الجدة أو زوجة الأب، يؤثر في عملية التنشئة وقد يؤدي عند الطفل إلى عدم الاتزان النفسي والاجتماعي.

الطفل في أيامه الأولى

كان الطفل جنيناً في قرار مكين، يصله كل ما يحتاجه من غذاء بغير ما عناء ولا مشقة.. ويوم ولادته.. تراه يتقلب في رحم أمه ويتعرض لضغوط وتقلصات مؤلمة من كل جانب.. ثم ينزلق عبر ممر ضيق ينتهي به إلى العالم الجديد.. عالم مليء بالضوضاء والأضواء والخشونة.. ماذا يفعل.. كيف يتنفس.. وفجأة تتحرك رئتاه.. ومع أول شهقة، تنطلق من فمه صرخة ألم.. بعد هذه الرحلة الشاقة المؤلمة يشعر الطفل بالإرهاق.. ويحتاج للراحة.. ولن يجد خيراً من صدر أمه مكاناً يحنو عليه ويرتاح فيه.. لسان حاله يقول: ضميني إليك بحنان ورفق، فإني بأمس الحاجة إليك يا أماه.

وما أن يحس الطفل بالدفء والأمان حتى يلتقط ثدي أمه يرتشف منه.

الوجبة المحببة.. يقول الدكتور محمد عماد الدين إسماعيل:

إن الأطفال الذين يتركون بجوار الأم فترة بعد الولادة، أثبتت الأبحاث أنهم:

- يعيشون على الرضا والاطمئنان.
- ولا يعانون مشاكل في النوم أو في تناول الطعام أو في العلاقة مع الأم.
- ويكونون أكثر توافقاً من الناحية الاجتماعية[1].

أيام الطفل الأولى.. في غاية الأهمية.. فإذا أحسنت الأم التعامل مع احتياجاته.. سارت الأمور على ما يرام..

(ولقد أكدت بحوث كثيرة على أهمية العلاقة بين الأم والطفل في البناء النفسي للأطفال. فلئن يكن من السهل أن يُضمن الغذاء والدفء والحماية ضد الأخطار دون الالتجاء بالضرورة إلى العائلة.. فإن نمو الطفل نفسياً ووجدانياً يتطلب شيئاً آخر، ويبدو أنه لا مناص من أن يبقى الطفل مرتبطاً باستمرار بأمه أو بالشخص الذي يعوضها برباط من الثقة والعطف والحنان خلال السنوات الثلاث أو الأربع

(1) دليل الوالدين إلى تنشئة الطفل - د. عماد الدين إسماعيل، ص: (17-23) بتصرف قليل.

الأولى من حياته على الأقل.. وإذا انقطعت هذه الصلة لأي سبب فقد ينتج عن ذلك انحراف في النمو الوجداني غير قابل للتدارك على ما يبدو، وقد يهدّد نموه العقلي.. بل يتجاوز الأمر ذلك إلى أمراض مثل، حالات التهاب الأنف والبلعوم والإسهال الطفولي)[1].

إن اهتمام الأم بطعام طفلها وشرابه ودفئه وراحته ونظافته ومعرفة سبب بكائه.. واستجابتها الفورية لطلباته.. وضمه بحنان إلى صدرها.. كل ذلك سيؤثر في نفسية الطفل أجمل تأثير.. فقدرة الطفل على المعرفة والتعلم أكبر بكثير مما يتصورها البعض.

إنه يفهم جيداً إشارات الحب.. عند كل ضمة حنان إلى صدرك.. أو عندما تتأملين في وجهه.. أو عندما تهدهدينه أو تتحدثين إليه.

الطفل حديث الولادة يظهر قدرة عجيبة على تمييز الأصوات الحانية أو الغاضبة.. يبش لصوت أمه.. وينزعج أو يبكي لسماع الأصوات الغاضبة.. إن طريقة التعامل مع الطفل في أيامه الأولى هي التي تهيئه إيجاباً أو سلباً للتأقلم مع العالم الجديد.

دور اللعب في البناء النفسي

اللعب في الواقع وسيلة الطفل المثلى لكي ينمو ويتعلم، وهو ضرورة وظيفية مثل ضرورة الطعام والشراب، وعن طريقه نستطيع أن نصل بالطفل إلى ما نريد.

ولقد ذكر العلماء والأطباء فوائد كثيرة للعب فهو: ينفس عن التوتر الجسمي والانفعالي عند الطفل، ويضفي حيوية وتجدداً في نمطية حياة الطفل، ويعطي الطفل فرصة لاستخدام عقله وحواسه وفهم ما حوله، ويتيح الفرصة للطفل ليعبر عن حاجاته، ويساعد على تقويم خلق الطفل ولا سيما في اللعب الجماعي، ويسهم اللعب إسهاماً كبيراً مع الغذاء في زيادة وزن الطفل وحجمه ونمو أجهزته المختلفة، ويساعد اللعب على استهلاك الطاقة الزائدة عند الطفل، ويشغل فراغ الطفل بشيء مفيد.

---

(1) التربية البناءة للأطفال - و. د. وول (أستاذ علم النفس التربوي - جامعة لندن)، ص: 107.

في الأشهر الستة الأولى يحب طفلك أن يلعب معك كل الوقت.. وإذا كنت لا تستطيعين ذلك.. فمن الضروري أن تقضي معه أوقاتاً شائقة ممتعة.. وسيكون ذلك الأساس في شعور الطفل بالثقة والأمان.

وليست كل الألعاب مناسبة لكل الأطفال في كل الظروف.. فقد يكون الطفل متعباً أو مريضاً.. أو جائعاً أو يشعر بالنعاس.. وقد يكون نشيطاً متحركاً.. ولكل حالة من حالاته ألعاب تناسبه.

فالأرجوحة التي تسر طفلاً قد تخيف طفلاً آخر.. والأغنية الرقيقة التي تسعد طفلاً قد لا تثير انتباه طفل آخر..

وإذا كان الطفل يكره الأصوات العالية.. فلا يعطى ملعقة معدنية يضرب بها على الطبق، وإذا كان الطفل هادئاً فلا تهزيه بشدة.. وإذا كان الطفل ذا حيوية زائدة فاتركيه على الأرض يتدحرج..

ومن الخطأ في نظر علماء النفس أن يوضع تحت تصرف الطفل لعب كثيرة، فهذا يقلل من قيمتها ويزهده فيها بسرعة، ويجعله مهملاً في استعماله إياها. فإذا كثر عدد اللعب، فيجب أن يعطى لعبة أو اثنتين في الوقت الواحد، وأما الباقي فيحفظ، ويصح أن يستبدل ما معه بما هو محفوظ ثم يعود إليه مرة أخرى إن شاء[1].

قد تحول البيوت الضيقة دون تخصيص غرفة مناسبة للطفل يمارس فيها ألعابه.. ومن هنا أصبحت الحدائق العامة وما تحويه من ألعاب والنوادي المتخصصة للأطفال، حلاً مناسباً يشبع فيها الطفل هوايته في اللعب.

وفي الوقت الذي يؤكد فيه علماء الاجتماع وعلماء النفس على أهمية العلاقة بين الطفل وحيوان أليف.. فإنهم ما زالوا مترددين في فائدة ألعاب الفيديو (الأتاري).

---

(1) أسس الصحة النفسية - د. عبد العزيز القوصي (من كتاب طفلك الصغير هل هو مشكلة، ص: 92).

الأم بملاحظاتها ومعرفتها بنفسية طفلها تستطيع أن تختار له ما يناسبه من ألعاب.. تعدد له ألوان اللعب وأحجامها.. حتى لا يشعر بالملل.

وجهك وصوتك والأشياء التي تقومين بها وتستعملينها سوف تدهشه وتشد انتباهه وتبهره. إنك بمنحك طفلك الاهتمام والحب والمساعدة تمنحينه أفضل أنواع اللعب في هذه المرحلة[1]. وتعطينه الفرصة للاطمئنان إليك والتفاعل معك.

الطفل في مرحلة الرضاعة

طفلك في هذه المرحلة لا يطمح إلى أكثر من إشباع حاجاته الأساسية:

حاجته إلى الطعام والشراب،

وحاجته إلى الراحة والبعد عن الألم،

وحاجته إلى النظافة،

وحاجته إلى العلاج إذا مرض، وتحصينه باللقاحات المناسبة في الأوقات المناسبة لحمايته من الأمراض،

وحاجته إلى التعلق والدفء العاطفي،

وحاجته إلى الاستقرار والثبات في المعاملة وفي البيئة المحيطة،

وحاجته إلى الاستثارة والتنشيط،

وحاجته للعب بألعاب تناسب سنه ومزاجه،

هذا إلى جانب حاجاته البيولوجية الأخرى من تغذية وإخراج وهكذا.. وبناء على الأسلوب أو الطريقة التي تتبعينها في سبيل إشباع هذه الحاجات عند طفلك يمكن أن تنمو لديه إما ثقة متزايدة فيمن حوله، أو انعدام هذه الثقة.

والثقة المتبادلة مع الطفل هي الأرضية الصلبة التي ينطلق منها بأمان إلى المراحل التالية. وإذا لم تقم عند الطفل مثل هذه الثقة فستتعرض شخصيته للاهتزاز.

---

(1) دليل الوالدين - د. محمد عماد الدين إسماعيل، ص: (26-71).

أما كيف ينمّي الوالدان هذه الثقة.. فبوسائل متعددة مثل: الاستجابة الفورية لتوترات الطفل، استمرار الفاعل بين الأم والطفل، تشجيع الطفل على الاستطلاع الحسي والحركي والاجتماعي لبيئته، مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال[1].

الفطام

المهم في هذه المسألة.. هو التدرج في عملية الفطام. فمن أخطر الأمور أن تلجأ بعض الأمهات إلى اتخاذ قرار مفاجئ وبدون ضرورة بأن تمنع طفلها عن الثدي.

لمثل هذا الفعل أثر سيء على نفسية الطفل الذي تعلق بأمه عاطفياً ونفسياً.. ووجد في ثديها وأحضانها الدفء والأمان.. وإذا بهذه العلاقة تنقطع فجأة.. مما سيكون لذلك أثر سيء على نفسية الطفل حتى عندما يكبر.. المهم في عملية الفطام هو التدرج.. الذي ينقل الطفل بشكل سليم إلى مرحلة الفطام[2].

بعض الأمهات يلجأن إلى وضع مادة شديدة المرورة على الثدي ليعافه الطفل ويعرض عنه. وهذا تصرف خاطئ.. فالأم هي الأمان بالنسبة لطفلها.. وثديها هو الملجأ المريح له.. فإذا حوّلته الأم بتصرفها هذا إلى شيء يقزز الطفل، يفقد ثقته بكل الأمان الذي أعطته الأم لطفلها من قبل.. الأمر الذي قد ينعكس على هذه العلاقة سلباً ولمدة طويلة.

بناء شخصية الطفل

في بداية الأمر يكون وعي الطفل ضئيلاً، وإدراكه في أضيق الحدود. ولكن غير صحيح أنه لا يعي على الإطلاق.. فهو في أيامه الأولى يعي تلك البسمة الحانية في وجه الأم، ويرتاح لها، وتطمئن نفسه إليها. ويعي غضبها كذلك وينزعج منه ويبكي.

---

(1) دليل الوالدين (المرجع السابق)، ص: (73-82).

(2) دليل الوالدين (المرجع السابق)، ص: (91-92).

وباستثناء بعض الحركات التي تعبّر عن حالة الرضا أو الغضب.. فليس بمقدور الطفل أن يعبر عن نفسه. ومع ذلك فإن الطفل ليحمل في قلبه الصغير شحنة ضخمة من العواطف والانفعالات، تخط خطوطها في تلك الصفحة البيضاء أو الباهتة الخطوط!

وكل انفعال يمرّ في نفس الطفل، وكل تجربة يخوضها، تجربة سرور ورضاء أو تجربة خوف أو انزعاج، أو ألم وقلق، تحفر مكانها أو تخط خطها في تلك الصفحة، حتى يتكون فيها في النهاية خط بارز واضح نتيجة تراكم التجربة وتراكم الانفعالات.

ومن هنا خطورة السنوات الأولى في حياة الطفل، وإن كانت لا تغلق الباب نهائياً أمام فرص التعديل في أي مرحلة من مراحل العمر.

في تلك الصفحة البيضاء ظاهرياً، الباهتة الخطوط في الحقيقة، ترتسم الملامح الأولى لشخصية الطفل، ويتوقف الكثير على طريقة التعامل الذي يتعامل به الأبوان معه.

أولاً: الحب في البداية

كل الأطفال يطلبون الحب والحنان والرعاية والأمان.. والأم بفطرتها تعطي ذلك الحنان والحب.. وتؤدي تلك الرعاية المطلوبة.. فينشأ الطفل نشأة سوية تتوازن فيها نفسه.. وتلك نقطة البدء في تربية الطفل.

في هذه المرحلة يتعلق الطفل بشخص أو آخر من الكبار المحيطين به، ويبكون إذا تركوهم.. ويكون التعلق مصحوباً بمشاعر قوية وأحياناً عنيفة. وعندما يتجاوز الطفل السنتين من عمره.. يضعف عنده التعلق بأمه بشرط أن يوجد شخص آخر يتعلق به (كالأب).. لابد أن يكون البديل عن الأم مألوفاً وليس غريباً، محباً وليس كارهاً وباختصار حاضناً وليس حارساً[1].

إن الحب الذي تمنحه الأم لطفلها، ولا يستطيع غيرها أن يمنحه إياه، هو الذي

(1) دليل الوالدين (المرجع السابق)، ص: 112.

يعلم الطفل الحب. . ويوازن في نفسه خط الكره الفطري، الذي ينبت في النفس تلقائياً؛ لأنه من خطوط الفطرة التي يولد بها الإنسان.

كل إنسان سوي يولد وفي نفسه مجموعة من الخطوط المتوازية المتضادة في الاتجاه (كالحب والكره، والخوف والرجاء. . الخ)، وكلها خطوط أصيلة في الفطرة البشرية، وتؤدي عملها في تكوين البناء النفسي للإنسان. في البداية تكون هذه الخطوط باهتة لم تتميز بعد، والمعاملة الخارجية للطفل هي التي تعمقها وتبرزها، أو توقف نموها، أو تكبتها.

وأغلب الانحراف ينشأ في هذه الخطوط المتقابلة. فهي في حالتها السوية متوازنة. ولكن حين يبرز أحد الخطين ولا يبرز الآخر المقابل له، أو يبرزان معاً بروزاً زائداً عن الحد، أو ينقصان معاً نقصاً زائداً عن الحد، فهنا ينشأ الانحراف. وهنا تأتي مهمة التربية لإعادة التوازن إلى هذه الخطوط المتقابلة[1].

الرحمة والإحسان

ومن الأمور التي تمنح الطفل الحب والأمان أن يشعر بالرحمة ممن هم حوله وإحسانهم إليه.

◄ عن أنس ﷺ قال: ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ قال: كان إبراهيم مسترضعاً في عوالي المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت. . فيأخذه فيقبله ثم يرجع[2].

◄ وكان رسول الله ﷺ يزور الأنصار فيسلم على صبيانهم ويمسح على رؤوسهم ويدعو لهم[3].

◄ وعن جابر بن سمرة ﷺ قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله، وخرجت معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً[4].

---

(1) منهج التربية الإسلامية - محمد قطب 2: (106-110) باختصار.
(2) مسلم (كتاب الفضائل - 4280).
(3) ابن حيان.
(4) مسلم (كتاب الفضائل - 4297).

◄ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع ابن حابس التميمي جالس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: **«من لا يرحم لا يرحم»**[1].

◄ وعن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطوّل فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه»**[2].

وقد مدح النبي ﷺ في نساء قريش رحمتهن وحنوهن على صغارهن فقال: **«خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده»**[3].

العدل بينهم ومعهم

ومما يزيد أواصر المحبة بين الأبناء وبعضهم.. وبين الأبناء والآباء.. شعورهم بالعدل والمساواة.. فلا يحس أحدهم بالاضطهاد أو الظلم.

◄ قال النبي ﷺ: **«اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم»**[4].

◄ وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً كان جالساً مع النبي ﷺ فجاء بني له فقبله وأجلسه في حجره ثم جاءت بنته فأخذها فأجلسها إلى جنبه فقال النبي ﷺ: **«فما عدلت بينهما»**[5].

فإذا لم يجد الطفل من ذويه ذلك الحب والرحمة والإحسان والعدل لأي سبب من الأسباب.. فستكون النتائج سيئة، وأبرزها أن ينمو عنده خط الكره دون أن ينمو خط الحب، فتنشأ في نفس الطفل الكراهية للآخرين والحقد عليهم، فينزوي ويكون سلبياً لا ينتفع منه المجتمع بشيء.

---

(1) البخاري (كتاب الأدب - 5538).
(2) البخاري (كتاب الأذان - 666).
(3) البخاري (كتاب النكاح - 4692).
(4) البخاري (كتاب الهبة - 2398).
(5) البيهقي.

ثانياً: مرحلة الحسم والضبط

فإذا أخذ الطفل نصيبه من الحب والحنان والعطف والإحسان، فقد جاءت المرحلة الثانية من مراحل تربيته، وهي تعويده على الضبط.

فالحب على أهميته ينبغي أن تعطيه الأم لطفلها بالقدر المطلوب. فالزيادة فيه كالنقص، كلاهما مفسد لكيان الطفل.

والطفل في حاجة إلى معونة أمه لكي يتعلم الضبط ويتعوده.

أول ما يحتاج إليه هو ضبط إفرازاته.. ثم ضبط رضاعته.. وأخيراً ضبط رغباته.. قد يكون الأمر شاقاً في البداية ولكنه ضروري مع ذلك.

الأم التي ترضع طفلها كلما بكى.. تضره لأنها لا تعينه على ضبط رغباته، وإذا لم تعوده على الضبط في صغره فلا يتعوده في كبره.

والضبط ينبغي أن يكون بمقدار.. فحين تزيد قوة الضبط فعلى حساب حيوية الإنسان وقدرته على الانطلاق. وحين تنقص فإنها تعطي مجالاً للرخاوة والترهل.. وكلاهما خلل في البناء النفسي للطفل..

والوالدان الحكيمان يستطيعان أن يوازنا بين الحب والرعاية والعطف من جهة، وبين الحسم الذي ينمي القدرة على الضبط من جهة أخرى.

ثالثاً: دور القدوة

لقد كبر الطفل الآن شيئاً ما، وكبر معه وعيه وإدراكه، فأصبح أكثر إدراكاً لما حوله وأكثر تأثراً به. وهنا تأتي مرحلة من أشد المراحل خطورة في حياته، وهي مرحلة التعلق الشديد بأمه وأبيه، وهو أشد تعلقاً بالشخص الذي يتخذ موقفاً إيجابياً فعالاً في حياته، فلا يقتصر دوره على مجرد الاستجابة لحاجات الطفل وإنما يأخذ أيضاً المبادأة في استثارته اجتماعياً وانفعالياً ومعرفياً، وذلك بالبقاء دائماً على اتصال به يحضنه ويعانقه ويتحدث معه ويلاعبه ويداعبه ويشترك معه في ألعابه وباختصار يكون معه عنصر اطمئنان وأمان..

وقدرة الطفل على الالتقاط كبيرة جداً، وكذلك قدرته على المحاكاة..

وعن طريق الالتقاط والمحاكاة يتعلم الكلام، وهذا يثبت أن لديه قدراً من الوعي يكفي لتعلم الأصوات والمفردات والجمل.

الطفل يتكلم

يبدأ الطفل من شهره الرابع بالصوت فقط، ولعله يستطيع أن يلفظ كلمة ماما وبابا في الشهر العاشر دون أن يعرف معناها، حتى إذا بلغ الشهر الثاني عشر فهم معناها، فإذا بلغ نهاية العام الثاني استطاع أن يخزن في دماغه مئات الكلمات، وأن يركب جملة من كلمتين أو ثلاث.. فإذا بلغ منتصف الثالثة ولم يتكلم وجب عرضه على الطبيب. في هذه المرحلة على الأبوين تشجيع الطفل على الكلام.. فالإهمال يؤخر نمو قابليات الطفل، كما أن التدليل والعناية الزائدة تؤخر نمو هذه القابليات أيضاً.

قد يتأخر الطفل عن الكلام لأسباب عضوية أو نفسية، على الوالدين الالتفات إليها ومعالجتها. الكلمات الأولى التي يسمعها الطفل من أمه تُكَون شخصيته فيما بعد.. الأمر الذي يتطلب من الأم أن لا تتكلم إلا بالكلام الحسن[1].

حاجات الطفل بين مرحلتين

إن حاجات الطفل تختلف بين مرحلتين كبيرتين، هما السنة الثالثة، والفترة الممتدة بين السنة الثالثة ووقت دخوله إلى المدرسة.

ففي أثناء النصف الثاني من السنة الأولى من حياة الطفل وكذلك في سنته الثانية، يخرج الطفل من الإطار الذي كان يتلقى فيه رعاية لا تتطلب شيئاً في المقابل، ويأخذ في الاتصال والتنازع مع محيطه البشري ومحيطه المادي وينشأ في نفس الوقت تفاعل أكبر شأنا وأقل رتابة مع أمه. فالنمو العام لقدراته يرتبط بالطريقة التي تردّ بها الأم الفعل على هذه الاتصالات لفظياً وعاطفياً ومادياً. وفي هذه المرحلة يكون فيها الطفل سهل التعرض إلى الاضطرابات، عندما يفصل عن أمه.

---

(1) الإسلام والطفل - د. وجيه زين العابدين، ص: 28.

وابتداء من سن الثالثة، يصير أغلب الأطفال، لا فقط متقبلين فكرة إبعادهم عن أمهاتهم لبعض الوقت، بل إنهم يحتاجون كذلك إلى علاقات اجتماعية أكثر اتساعاً وتمايزاً من تلك التي يمكن للأم أن توفرها لهم عادة، ولا سيما مع أطفال آخرين. وبالرغم من أنهم لا يزالون ضعافاً فإنهم يمتلكون وسائل أحسن للتعبير عن حاجاتهم وإحساساتهم، وهم قادرون أحسن على فهم الأشياء، كما أنهم تعلموا مواجهة عدد كبير من مخاوفهم ومن مشاكلهم. ومن المستحسن لكثير من الأطفال في سن الثالثة والرابعة أن تهيأ لهم مجموعات تربوية، أو مدارس قبل الابتدائية، أو مجموعات اللعب قبل المدرسة.. خارج البيت وبدون حضور الأم.

من خلال هذه المجموعات التربوية يمكن استكشاف الصعوبات أو المشاكل البدنية أو الاجتماعية أو النفسية والعاطفية التي يعاني منها الطفل حتى يتم إصلاحها وعلاجها مبكراً.

ويجدر في النهاية القول بأنه مهما كانت الطريقة التي تنظم بها هذه المصالح، ومهما كانت الأهداف الاجتماعية أو التربوية المنشودة، فإن الأم هي مركز الدائرة، وهي التي تقوم بالعمل الأساسي، وهي التي لها أعمق التأثير.

وعلى المصالح الاجتماعية والطبية والنفسية والتربوية أن تخصص عملها لتحسين مستوى ونوعية الرعاية التي تقدمها الأم لطفلها[1].

الطفل يكتشف نفسه

في هذه المرحلة يحاول الطفل استكشاف نفسه وبيئته بطريقة تلقائية قد تتعدى حدود المقبول عند الآباء.. يريد أن يقوم بنفسه بالأشياء التي ترغب الأم القيام بها.. يريد أن يرتدي ملابسه، وأن يخلعها بنفسه.. يريد أن ينزع يده من يد أمه وينطلق وحده في الشارع.. فإذا تفهم الآباء ذلك السلوك وشذبوه من خلال التشجيع أعطوا الطفل طاقة كبيرة.. وإذا عالجوه بالنقد والشجب.. تحولت هذه

(1) التربية البناءة للأطفال - و. د. وول، ص: 198.

الطاقة الإيجابية إلى شعور جارف بالخجل والشك والشعور بالذنب.. مما يفقد الأطفال ثقتهم بأنفسهم.

وأيًّا كانت درجة الوعي عند الطفل.. فإن جهازي الالتقاط والمحاكاة يؤسسان عنده خطوطاً كثيرة ورئيسة في بنائه النفسي.

ومع نمو الطفل وزيادة وعيه، يبدأ بالتقاط القيم والمبادئ الحسنة أو السيئة من والديه.

الأمر الذي يتطلب حذر الأبوين.. فلا ينطقان بالكذب ولو مرة واحدة.. ولا يغشان أحداً.. فقد يغفر الطفل للآخرين.. ولكنه لا يغفر للقدوة أن تفعل.

ومن المناسب جداً.. أن تعترف الأم أو الأب بالخطأ إذا قاما به فهو تعليم للطفل.. فكل إنسان يخطئ وينبغي له عدم الإصرار على الخطأ.

قال عقبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده: وليكن أول ما تبدأ به قبل إصلاح بنيَّ، إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت والقبيح عندهم ما استقبحت.

لابد أن يدرك الآباء أن الطفل كائن له شخصيته.. فليس من المناسب سحقها من خلال الرغبة بأن يستجيب الطفل لكل توجيه.. لابد أن تترك له مساحة كافية للاجتهاد والخطأ وقبول ذلك منه.. مع التصحيح غير المباشر. لابد من تنمية ما يطلق عليه الضمير في داخل الطفل[1].

من الخطأ البالغ أن يمنع الأهل طفلهم من التعبير عن كل ما يشعر به من أحاسيس.. الأمر الذي يخلّ بتوازنه الداخلي ويؤثر على نفسيته. يجب على الأهل الاستماع جيداً لطفلهم، ومشاركته في إيجاد الحلّ المناسب لمشكلته، والإجابة بصدق وإخلاص عن كل سؤال يسأله.

رابعاً: دور التلقين والتوجيه

ولكن هل تكفي القدوة وحدها في العملية التربوية للطفل؟

(1) منهج التربية الإسلامية - محمد قطب 2: 121.

لابد من التلقين..

ولو كانت القدوة وحدها تكفي.. لكانت القدوة العظمى للبشرية كلها، ممثلة في شخص رسول الله ﷺ كافية وحدها.. ولكن هذه القدوة على عظمتها كانت تلجأ إلى التلقين والتوجيه.. وهل الكتاب المنزل سوى تلقين وتوجيه؟ وإذا كانت القدوة أسلوباً غير مباشر في التربية.. فإن الملاحظة والتوجيه أسلوب مباشر.. فالكبير هنا يراقب سلوك الصغير ويتدخل في الوقت المناسب وبالأسلوب المناسب لتصحيح سلوكه.

في الحديث عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه، قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: **«يا غلام سمّ الله تعالى، وكل بيمينك، وكل مما يليك»**[1].

في هذه المرحلة كثيراً ما يسأل الطفل أمه أو أباه.. عن أشياء لم يدركها.. لا يريد أن يأخذها من القدوة بدون معرفة تفسيرها.. عندئذ لابد من توضيح الأمور بأيسر السبل التي يطيقها فهمه وإدراكه. ومن الخطأ البالغ إعطاؤه معلومة خاطئة للتخلص من سؤال محرج.

والتوجيه ليس مجرد إعطاء المعلومات على شكل أوامر.. فهي لن تستقر في النفس ويتقبلها الطفل.. إذا لم تكن محاطة بأجواء المحبة والرحمة والعطف، فالطفل لن يعطي من الأدب والتعاون والاعتبار إلا بمقدار ما يبذله الآباء له، فإذا استشعر أي نوع من أنواع الظلم أو التفرقة.. ضرب بالتوجيه عرض الحائط.

الوقت المناسب

ولا شك أن اختيار الوقت المناسب للتوجيه مهم بكل حال، ففي حال الركوب والأسفار، وحين تفتح نفسية الطفل للطعام والشراب، أو حين يقعده المرض فتجتمع له سجية الطفل ورقة القلب بالمرض، فهذه الحالات وأمثالها حرية بقبول الطفل للتوجيه أكثر من غيرها، وينبغي للمربين أن يستثمروها. وفي سيرة النبي ﷺ ما يؤكد حسن اختيار الوقت للتوجيه والدعوة. في الحديث عن

(1) البخاري (كتاب الأطعمة - 4957)، ومسلم (كتاب الأشربة - 3767).

أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: «**أسلم**» فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم (الغلام) فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**»[1].

لقد اختار النبي ﷺ الوقت المناسب لدعوته، مع إمكانية الدعوة قبل ذلك..

الفضائل ومكارم الأخلاق

في هذه المرحلة يتم بناء الطفل عقائدياً وأخلاقياً، وعلى الآباء أن يعلموا أبناءهم:

- الصدق.. قال النبي ﷺ: «**ألا وإياكم والكذب، فإن الكذب لا يصلحُ بالجد ولا بالهزل، ألا ولا يعد الرجل صبيه ثم لا يفي له**»[2].

وعن سعد بن عبيد الله المخزومي قال: (أمرني عبد الملك بن مروان أن أعلّم بنيه الصدق كما أعلمهم القرآن)[3].

- وآداب السلوك.. كالاستئذان، وآداب السلام.. وآداب الحديث.. وآداب المجالس.. وآداب الطعام.. وتنظيم الوقت.. وغيرها.
- وأن يعين طفله على اختيار الصديق المناسب.. فالطفل بحاجة إلى أصدقاء يلعب معهم.. ويتحدث إليهم.. وللصديق تأثير كبير على شخصية الطفل ومستقبله.. ومن المهم أن يُساعد الأب طفله في اختيار أصدقائه.. قال النبي ﷺ: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»[4].

فالصحبة مؤثرة في إصلاح الحال أو إفساده. فإن الطفل عن أقرانه ألقن وهو عنهم آخذ وبهم آنس[5].

صاحب أخا ثقة تحظى بصحبته فالطبع مكتسب من كل مصحوب

---

(1) البخاري (كتاب الجنائز - 1268).
(2) ابن ماجه (المقدمة - 45)، وأحمد (مسند المكثرين من الصحابة - 3701).
(3) ابن أبي الدنيا.
(4) أبو داود (الأدب - 4193)، والترمذي (كتاب الزهد - 2300).
(5) منهج السنة النبوية - بدير محمد بدير، ص: 84.

كالريح آخذة مما تمر به نتناً من النتن أو طيباً من الطيب

ويدعوان له.. فلا يحرم الوالد ولده من دعوة صالحة تكون سبباً في هدايته واستقامته وبركته.

قال الله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾[1].

وفي الحديث عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «**ثلاث دعوات لا شك في إجابتهن، منها دعوة الوالد على ولده**»[2].

◄ وأن يشجع طفله ويحترمه.. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «**أخبروني بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها صيفاً ولا شتاءً، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها؟**».

قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله ﷺ: إنها النخلة. فلما قمنا، قلت لعمر: يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة. قال: وما منعك أن تتكلم؟ قلت: لم أركم تتكلمون فكرهت أن أتكلم، وأقول شيئاً. قال عمر: لأن تكون قلتها، أحبّ إليّ من كذا وكذا)[3].

◄ وأن يشاوره في الأمر.. فإذا حدثت مشكلة تتعلق بالطفل.. فكم من المناسب أن يشارك جميع أفراد الأسرة في اقتراح حلولها.. إن الحلول الجماعية تدفع الأطفال إلى التفكير والإبداع، وتعلمهم فنون الجدل، ويستقر في قلوبهم معنى التشاور، مما يساعدهم لاحقاً في حياتهم الاجتماعية والعملية. هذه الحلول الجماعية تحدّ من غضب الأبناء تجاه أوليائهم.. فالقرار لم يصدر من الأب وحده، بل يشارك الجميع في اتخاذه.

---

(1) سورة إبراهيم، الآية: 40.

(2) الترمذي (كتاب البر والصلة - 1828).

(3) البخاري (كتاب العلم - 59).

خامساً: دور الثواب والعقاب

بعد المبادئ التربوية الأربعة التي تحدثنا عنها:

- الحب والحنان والرعاية،
- والضبط والحسم،
- والقدوة،
- والتوجيه.

نتحدث عن وسائل تربوية أخرى لها تأثير كبير في تربية الطفل. ففي نفس كل كائن بشري خطان يتصل أحدهما بالخوف ويتعلق الآخر بالرجاء. وهذان الخطان من أعمق وأوضح الخطوط في النفس البشرية. فالطفل منذ اللحظة الأولى يجد في حضن أمه الأمن والطمأنينة.. ويخاف ويبكي إذا خرج أو ابتعد عن هذا الحضن.

ومنهج التربية الإسلامية يربي الناس على الخوف مما ينبغي أن يخافوه، والتعلق بما ينبغي أن يتعلقوا به، وينفي عن القلب البشري الخوف مما لا ينبغي أن يُخاف منه، أو التعلق بما لا ينبغي التعلق به.

يربيهم على الخشية والخوف من عذاب الله وغضبه، وعدم الخوف من شيء أو على شيء آخر.

ويربيهم على التعلق بالله وطلب العون منه وحده، والتعلق بالآخرة ونعيمها، ورضوان الله المؤدي إلى النعيم.

ومن هنا تكون التربية بالمثوبة والتربية بالعقوبة وسيلتين أساسيتين من وسائل التربية التي تضبط خطي الخوف والرجاء عند الطفل.

والخوف عند الطفل غريزة فطرية في حدود معينة، فالطفل الذي لا يخاف أبداً لابد أنه مصاب بانحراف في عقله، والخوف ضروري لبناء شخصية الطفل ووقايته من الحوادث.

والخوف غير التخويف الذي هو خطأ بالغ خاصة عندما يخوفون الطفل من الطبيب أو الشرطي أو الأب.

سلوكيات غريبة

في مراحله المبكرة يمر الطفل بسلوكيات غريبة.. تنظر إليها الأسرة بعدم ارتياح.. وهي في الواقع تطور طبيعي ينسجم مع تطور البناء الجسماني والنفسي للطفل..

فمن العناد وعدم الطاعة التي يريد الطفل من خلاله أن يثبت ذاته..

إلى الشقاوة التي لا يستطيع الطفل التحكم بنفسه للامتناع عن العمل الخطأ..

إلى الغيرة الشديدة التي تؤدي في بعض الأحيان إلى المنافسة والمشاجرة عند الطفل..

إلى الكذب عندما تختلط الأمور عند الطفل فلا يفرق بين الحقيقة والخيال..

إلى السرقة التي تحدث نتيجة عدم وضوح مفهوم الملكية عند الطفل.. فهو يرى أن فلوس والده.. ودفتر مدرسته جزء من ممتلكاته..

إلى نوبات الغضب التي هي طبيعية إلى حد كبير ما لم تتجاوز الحدّ..

وإلى السلوك العدواني ضد الأطفال الآخرين والذي يرجع في معظمه إلى طريقة الأسرة في التعامل مع طفلها..

كل هذه السلوكيات وغيرها التي تظهر على الطفل في مراحله الأولى، هي تصرفات طبيعية تحتاج إلى الكثير من الدراية والحكمة في معالجتها عن طريق التوجيه، واندماج الأم مع ابنها في صرفه عن السلوك الخطأ والأخذ بيده نحو السلوك البديل الأجود.. وقد يتحول هذا السلوك الطبيعي إلى عدوانية حقيقية وانحراف سلوكي إذا أساءت الأسرة إلى الطفل ولم تأخذ بيده للتخلص من العمل الخطأ.

النظريات التربوية الحديثة.. تكتفي بالمثوبة وترفض العقوبة.. وإذا لجأت إليها ففي أضيق الحالات.. فتلجأ إلى العقوبات المعنوية دون الحسية..

العقوبة الحسية المتمثلة بالضرب.. أو باستخدام الأساليب التي تحقّر من شأن الطفل أو تجرح كرامته وكبرياءه سواء باللفظ أو بالفعل، وكل ما يثير لدى الطفل الشعور بالعار والخزي، أو السخرية منه، أو تهديده بالعفاريت وغيرها،

أو حبس الطفل في حجرته.. كل ذلك مرفوض.. فهو لا يؤدي إلى النتيجة المطلوبة من ناحية.. كما أنه يفقد الطفل الأم التي كانت بالنسبة له الحماية والحب.. فقد أصبحت (في نظره) رمزاً للعنف والتعنيف.

وترى (المدرسة التربوية الحديثة) أن كل السلوك الشائن يمكن أن تعالجه الأم بالحب والحزم.. وبتقديم طرق الثواب بدلاً من العقاب..

وإذا سلمنا بأن المربي في المنهج الإسلامي لن يلجأ إلى العقوبة الحسية إلا حين يستنفذ كل الوسائل الأخرى وذلك استجابة لتوجيهات المعلم الأول ﷺ الذي قال: «**علموا ولا تعنفوا**»[1].. وعلى هذا التوجيه بنى ابن خلدون قوله في مقدمته: (فصلٌ في أنّ الشدة على المتعلمين مضرة بهم).. إلا أن العقوبة الحسية ضرورية عند الحاجة إليها تماماً مثل المثوبة.. وهما يعملان معاً على إقامة البناء النفسي السليم للطفل[2].

ضرورة المكافأة

هناك قضية أخرى تستحق الانتباه في مسألة الثواب والعقاب.. فقد يكون أحد الأولاد مطيعاً لأهله، متزناً وهادئاً في لعبه مع إخوانه.. بينما أخوه الآخر صعب المعاملة، مشاغب جداً، يضرب أقرانه، ويتصرف تصرفات شاذة في مأكله ومشربه وجلوسه.. ولا يطيع أحداً مهما تكن الظروف..

نلاحظ أن الطفل الثاني ينال عقوبة ما.. بينما لا ينال الطفل الأول أية مكافأة. في بعض الأحيان يلجأ الطفل الهادئ إلى بعض المشاغبة لشد أنظار أسرته إليه.. لذا فإننا نشدد على ضرورة اعتماد مبدأ المكافأة الإيجابية من قبل الأهل للولد الهادئ المطيع.. وهذا يغريه بمزيد من التفاعل الإيجابي مع الأسرة.. ويشجعه على المزيد من الإيجابيات في سلوكه.. كما نشدد على معالجة الطفل المشاكس بتجاهل مشاكساته.. وعدم تقديم أيّة مكافآت إيجابية له.. والابتعاد قدر الإمكان عن العقوبات الحسية[3].

---

(1) مسند الطيالسي.

(2) منهج التربية الإسلامية - محمد قطب 2: 144.

(3) أحبب أولادك ولكن - د. خليل محسن، ص: (12-34) باختصار.

سادساً: تكوين العادات

ومن وسائل التربية، التربية بالعادة.. أي تعويد الطفل على أشياء معينة حتى تصبح عادة ذاتية له، يقوم بها دون حاجة إلى توجيه..

ولقد ثبت بدراسات كثيرة أن الفترة بين الثالثة والخامسة من عمر الطفل هي أهم فترة من حيث أثرها في أخلاق الطفل وعاداته في مستقبله، فإذا اكتسب في هذه الفترة أخلاقاً وعادات طيبة، فإنه مهما ينحرف في المستقبل فلابد أن يعود إلى الفضائل التي تعلمها في تلك الفترة[1].

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: عوّدهم الخير فإن الخير عادة.

ومن أبرز أمثلة العادة في منهج التربية الإسلامية شعائر العبادة وفي مقدمتها الصلاة، وجميع آداب السلوك الإسلامي التي تتحول بالتعويد إلى عادة لصيقة بالإنسان لا يستريح حتى يؤديها.

كثير من العادات كانت جديدة على المسلمين.. فعودهم رسول الله ﷺ إياها ورباهم عليها بالقدوة والتلقين والمتابعة والتوجيه حتى صارت عادات متأصلة في نفوسهم، وطابعاً مميزاً لهم، يميز المسلمين عن غيرهم في كل الأرض.

وتكوين العادة في الصغر أيسر بكثير من تكوينها في الكبر.. ومن أجل ذلك يأمر رسول الله ﷺ بتعويد الأطفال على الصلاة قبل موعد التكليف بها بزمن كبير.. حتى إذا جاء وقت التكليف كانت قد أصبحت عادة متأصلة.

يقول النبي ﷺ: **«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر»**[2].

وقال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منّا ... على ما كان عوّده أبوه

من العادات الحسنة التي ينبغي على الأم أن تغرسها في نفس الطفل في سن مبكرة: حب القراءة والاطلاع على الكتب المبسطة المصورة.. وأحسن الوسائل

---

(1) الإسلام والطفل د. وجيه زين العابدين، ص: 33.

(2) أبو داود (كتاب الصلاة - 418).

للاستفادة من التلفزيون الذي أصبح يتدخل في تربية الطفل تبيّن له لماذا عليه أن يهتم بالمفيد.. وكيف يتجنب الاقتداء ببعض الأفلام السيئة مثل: أفلام العنف والعدوان.

والقدوة الصالحة.. والتشجيع.. والتوجيه.. والإلزام اللطيف.. أو الإلزام بالشدة (إذا لزم الأمر).. والبيئة الصالحة، من أعظم المعينات على تكوين العادات الطيبة.. وإنهاء العادات السيئة[1].

سابعاً: التربية بالحدث

ومن وسائل التربية كذلك التربية بالأحداث.. أي استغلال حدث معين لإعطاء توجيه معين. وميزته على التوجيهات الأخرى التي تُعطي للطفل باستمرار، أنه يجيء في أعقاب حدث يهزّ النفس كلها، فتكون أكثر قابلية للتأثر، ويكون التوجيه أفعل وأعمق وأطول أمداً في التأثير من التوجيهات العابرة.

وقد كانت الأحداث في حياة الجماعة المسلمة الأولى، والتوجيهات القرآنية المنزلة فيها، من أبلغ وسائل التربية لهذه الجماعة وأعمقها أثراً فيها.

والمربي لا يستطيع أن يفتعل الأحداث.. ولكنه ينتهز الفرصة المناسبة ليلقي دروسه التربوية في الأحداث التي تقع.

قد يقع الحدث.. ولا تنفعل معه نفسية الطفل، لعدم إدراكه لأهميته.. ووظيفة المربي هنا أن يبين للطفل جسامة الأمر.. قبل أن يلقي إليه بالتوجيه[2].

ثامناً: التربية بالقصة

والتربية بالقصة وسيلة أخرى تستخدم الحادث، ولكنه حادث خارجي يقع لأشخاص آخرين.. ومع ذلك فهو مؤثر في النفس كأنه حدث للإنسان ذاته.

ولقد استخدم القرآن الكريم القصة استخداماً واسعاً في تثبيت القيم الإيمانية وترسيخها وتعميقها في نفوس المؤمنين.. نستطيع أن نبسّط قصص القرآن كما

(1) منهج التربية الإسلامية - محمد قطب 2: 151.
(2) منهج التربية الإسلامية - محمد قطب 2: 154.

نستطيع أن نؤلف للطفل قصصاً مناسبة تؤكد على الفضائل والمشاعر النظيفة والمواقف الطيبة التي نريد تثبيتها وتوجيه الطفل لها[1].

يروى عن أبي حنيفة رحمه الله قوله إن: الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إلي من كثير من الفقه، لأنها آداب القوم. وشاهده في ذلك قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴿٩٠﴾﴾[2].

ومن الضرورة بمكان.. استخدام الوسائل المختلفة: كالمجلات المتخصصة.. وأجهزة العرض.. والتلفزيون.. في تقديم القصص المسلية والمفيدة من أجل تصحيح مفاهيم الأطفال.. وزرع العادات الحسنة، واقتلاع السيئة عندهم.

كتاب الطفل

يظل الكتاب المنبع الدائم للمعرفة. ولا يدرك أهميته وأهمية الدور الخطير الذي يقوم به في مجال التهذيب والتثقيف، سوى الشعوب والمجتمعات التي تعيش حياة قوامها العلم، والتي تتصل حياتها اتصالاً وثيقاً بالكتاب وبالوسائل السمعية البصرية التي تعين على كسب المعرفة كالشاشة الكبيرة والشاشة الصغيرة والإذاعة والمجلات والصحف والرسم وآلة التسجيل وغيرها. ومع التقدم الواسع للوسائل السمعية - البصرية ووسائل الاتصال، ظل الكتاب من أهم مصادر المعرفة؛ لأنه يمتاز بمرونة لا تتوفر في تلك الوسائل كلها. وإذا كانت الكتب من أهم الأدوات التي تعين الكبار على خدمة أنفسهم ومجتمعهم، فهي لا تقل أهمية عند الأطفال، إذا أريد لهم أن يشبوا قادرين على فهم أنفسهم ومجتمعهم والعالم الذي يعيشون فيه. إن الطفل مقبل على الحياة. وهو يبدأ حياته بأقل عدة. لذا فهو يواجه عملية ذات شقين:

التعرف إلى العالم الذي ينتمي إليه، والتعرف إلى نفسه وعلاقته بهذا العالم. هذا من جهة. ومن جهة أخرى، تنمية قدرته على التعلم واستيعاب الحقائق

---

(1) منهج التربية الإسلامية - محمد قطب 2: 156.

(2) سورة الأنعام، الآية: 90.

والأفكار والتزود بالمعلومات في مختلف العلوم والفنون. إذا كانت الكتب في الماضي، تتمتع بأهمية خاصة، فإن أهميتها في العصر الحاضر، مع ما صاحبه من تقدم اجتماعي عظيم واختراعات جبارة، تصبح أشد ضرورة، إذ ليس من الممكن أن نعيش في مجتمعنا من غيرها. لذلك وجب أن ندرك أن مهمة المسؤولين عن تنشئة أبناء الجيل وبناته لا تنحصر في تعليم الأطفال القراءة فحسب، بل إنها أهم من ذلك بكثير، إذ تمتد إلى إثارة اهتمامهم، وحثهم على المطالعة، وغرس عادة القراءة عندهم منذ الصغر. لذلك كان لزاماً علينا بذل الجهود للعناية بكتب الأطفال كماً وكيفاً. وهذه العناية تفرضها حقيقة واقعة مؤلمة في بلادنا، وهي أن معظم أبنائنا وبناتنا لا يحبون القراءة ولا يميلون إلى التزود من الخبرات. وهذا أمر مؤسف، يرجع إلى قلة العناية **بغرس عادة المطالعة** عندهم منذ الصغر، وإلى تركيز الاهتمام على عملية التعليم في المدارس وفق المناهج التي تدور حول الكتاب المدرسي الذي يُعنى بشحن الذهن بالمعلومات، ويهدف إلى حث الطفل للنجاح في الامتحانات العامة، أما عملية التثقيف، التي تتميز بأن لها أكبر الأثر في تكوين شخصية التلميذ وسلوكه واتجاهاته فقلما تحظى بما تستحقه من الاهتمام إذ أنها تعد، لدى الكثيرين من المعلمين والمسؤولين والآباء، عملاً ثانوياً بل مَضيعة للوقت وللجهد[1].

لابد من أن نغرس في نفس الطفل شعور الاحترام نحو الكتاب، فيحافظ عليه، وعلى نظافته ويعمل على وقايته من الضياع أو عبث الغير، ويتجه - منذ الطفولة - إلى تكوين مكتبته الخاصة.. وإذا كانت القراءة الحرة سبيل الأخذ والاكتساب، فإن الكتابة الحرة سبيل التعبير والعطاء.. لماذا لا يكون لكل طفل كراسة خاصة يرصد بها ما يشاء؟ وإذا كانت كراسته صغيرة هزيلة في البداية، فإنها ستؤهله في المستقبل لتعوّد مصاحبته القلم، وليس كالقلم - في المستقبل الطويل - صاحباً ومعيناً على تفريج الكروب وفتح أبواب الأمل والعمل جميعاً[2].

(1) مجلة منار الإسلام - يناير 1999.

(2) هكذا نربي أولادنا - حسن عشماوي، ص: (77-79).

تاسعاً: التربية بالجهد الفائض والوقت الفائض

ومن وسائل التربية وسيلتان أخريتان..

الأولى: تتصل **بالجهد الفائض**..

والثانية: تتصل **بالوقت الفائض**..

فأما الجهد الفائض- وهناك دائماً عند الأطفال جهد فائض - فينبغي أن يُستنفذ في عمل طيب.. كاللعب النظيف وتعلم السباحة والرماية وركوب الخيل والرسم والتلوين وقراءة القصص والكتابة وغيرها من الأمور.. فالجهد الفائض إن لم يستنفذ بالخير.. فلابد أن يستنفذ بالشر.

والوقت الفائض شبيه بالجهد الفائض.. إنه طاقة، ينبغي أن تصرف في الخير وإلاَّ صرفت بالشر..

دخل رجل على الخليفة أبي جعفر المنصور يشكو كثرة عياله من البنات وكُنّ أربعاً، فقال له الخليفة: أنت أيسر العرب: أربعة مغازل يدرن في بيتك. أي أن لكل بنت مغزلاً تشتغل به وتأتي برزق منه.

ولهذا كان الفقهاء يستحسنون تعليم الفتاة الاشتغال بالمغزل، ويرون فيه عملاً يساعد في إزجاء وقت الفراغ، واحترافاً يأتي بالرزق الحلال.

أهمية اللعب

واللعب المناسب في الوقت المناسب وسيلة ممتازة لشغل الوقت الفائض واستنفاذ الجهد الفائض عند الطفل، نجد ذلك في سيرة النبي ﷺ وهو يلاعب الأطفال ويؤانسهم.

◄ في الحديث عن يعلى بن مرة رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ ودعينا إلى طعام فإذا حسين يلعب في الطريق فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يديه فجعل الغلام يفر هاهنا وهاهنا ويضاحكه النبي ﷺ حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى في رأسه ثم اعتنقه[1].

(1) ابن ماجه (المقدمة - 141).

◄ وعن عبد الله بن شداد بن الهاد عن أبيه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشي، الظهر أو العصر، وهو حامل أحد ابنيه الحسن أو الحسين فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه عند قدمه اليمنى فسجد رسول الله ﷺ سجدة أطالها، قال أبي: فرفعت رأسي من بين الناس فإذا رسول الله ﷺ ساجد وإذا الغلام راكب على ظهره فعدت فسجدت، فلما انصرف رسول الله ﷺ قال الناس: يا رسول الله، لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها، أفشيء أمرت به أو كان يوحى إليك؟ قال: كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته)[1].

والأحاديث التي مرّت تؤكد أهمية اللعب في حياة الطفل.. وأهمية أن يلاعب الكبار أطفالهم.

شخصية الطفل

الشخصية الإنسانية السوية التي تبني المجتمعات الصالحة.. كانت من قبل تعيش طفولتها في كنف أسرة صالحة، تقوم على تربيتها وتأديبها وتهذيبها.. وتتميز الطفولة بالمرونة والصفاء والفطرية.. فإذا وجدت المربي الصالح.. غرس فيها كل معاني الصلاح والإصلاح.

وحتى تتم عملية التربية بسهولة ويسر.. ينبغي أن تبدأ في سن مبكرة.. يقول ابن سينا في كتابه السياسة، باب سياسة الرجل ولده: (فإذا فطم الطفل تبدأ الأسرة بتأديبه ورياضة أخلاقه، قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة)[2].

وسنحاول فيما يلي التعرف على أسس بناء شخصية الطفل.

أولاً: البناء العقائدي

في هذه المرحلة تتطلع نفس الطفل إلى البحث عن **الخالق**.. فتراه يمطر أهله بالأسئلة التي لا تتوقف.. فقد بدأت فطرته تستيقظ.. تبحث عن الله.

---

(1) أحمد (مسند القبائل - 26363)، والنسائي (كتاب التطبيق - 1129).

(2) منهج التربية النبوية للطفل - محمد نور الدين سويد، ص: 79.

إن تأسيس العقيدة السليمة منذ الصغر أمر بالغ الأهمية في منهج التربية الإسلامية.. وأمر بالغ السهولة كذلك! فما على المربي إلا أن يلتقط طرف الخيط وينتهز الفرصة السانحة[1].

يقول الإمام الغزالي: (اعلم أن ما ذكرناه من أمور العقيدة، ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوئه، ليحفظه حفظاً، ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً، فابتداؤه الحفظ ثم الفهم، ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به، وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان، فمن فضل الله سبحانه وتعالى على قلب الإنسان أن شرحه في أول نشوئه للإيمان، من غير حاجة إلى حجة أو برهان. ثم يدلنا على الطريقة في ترسيخ العقيدة فيقول: والطريق إلى تقويته يكون بالإنشغال بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه، ويشتغل بالعبادات، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه، وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها[2].

قال الله تعالى على لسان الرسل يعلمون أبناءهم أصول العقيدة: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[3].

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«افتحوا على صبيانكم أول كلمة لا إله إلا الله، ولقنوهم عند الموت لا إله إلا الله»**[4].

قال ابن القيم في أحكام المولود: (فإذا كان وقت نطقهم فليلقنوا، لا إله إلا الله محمد رسول الله).

لقد اهتم النبي ﷺ بدعوة الأطفال وغرس مبادئ العقيدة والدعوة في نفوسهم.. فأسلم علي رضي الله عنه ولم يبلغ العاشرة من عمره بعد.. وتَحَمَّل مسؤولياته

(1) منهج التربية الإسلامية - محمد قطب 2: 165.
(2) إحياء علوم الدين 1: 94.
(3) سورة البقرة، الآية: 132.
(4) الحاكم.

في الدعوة وهو في هذه السن المبكرة، فنام في فراش رسول الله ليلة الهجرة. دعاه ودربه ليكون من قيادات المستقبل هو والأطفال من عمره. لقد أكسبت هذه المعاملة الكريمة أطفال المسلمين قوة وحكمة.. كان عمر بن الخطاب ﷺ يسير في الطريق وهو أمير المؤمنين، وكان مجموعة من الأطفال يلعبون في الطريق، فلما رأوه هربوا منه إلا واحداً (هو عبد الله بن الزبير)، فسأله عمر ﷺ عن سبب عدم هربه، فأجابه: لم أكن مذنباً فأهرب منك، ولم أكن لأخافك فأوسع لك الطريق)[1].

والطفل يحتاج إلى قدوة يتشبّه بها، ويسير على هُداها، ولقد ربط الإسلام أطفال المسلمين وكبارهم بشخص رسول الله ﷺ.. فنشأوا عظماء يتسنمون سلم العظمة درجة درجة.. في الحديث: أن عبد الله بن الزبير جاء وهو ابن سبع سنين أو ثمان ليبايع رسول الله ﷺ، أمره الزبير بذلك، فتبسم رسول الله ﷺ، وبايعه[2].

آمنوا به، وبايعوه، وأحبوه، وتعلموا سيرته، وحفظوا ورووا حديثه.. وتعلموا القرآن حفظوه وطبقوه.

عن جندب بن عبد الله قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حذاورة (وهو الغلام إذا اشتد) فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً[3].

فالمقدم في التعليم هو الإيمان ثم دراسة القرآن الكريم وحفظه؛ لأن الولد ما دام في الحجر ينقاد للحكم فإذا تجاوز البلوغ صعب جبره[4].

لابد من إعادة صياغة المناهج التربوية.. بحيث تعطي للطفل أهمية أكبر.. فالعبقرية تظهر باستمرار في الصغر.. والطفل يستطيع أن يستوعب وينفذ أعقد

(1) منهج التربية النبوية للطفل - محمد نور الدين سويد، ص: 88.
(2) مسلم (كتاب الآداب - 3998).
(3) ابن ماجه (المقدمة - 60).
(4) منهج السنة النبوية في تربية الإنسان - بدير محمد بدير، ص: 72.

الدراسات وأهم الخطط في العلم والإدارة والجهاد.. والأمثلة أكثر من أن تُحصى في التاريخ الإنساني القديم والحديث.. واليوم تظهر عبقريات في العاشرة من عمرها أو حولها تقبل في الدراسات العليا في الجامعات المرموقة..

لقد حفظ الإمام الشافعي رضي الله عنه القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر[1]. ولقد حفظ ابن سينا القرآن وهو ابن عشر سنين، وأصبح إماماً في علم الطب وعمره قريب من ذلك. ومحمد الفاتح خاض أعظم الغزوات وفتح القسطنطينية وهو ابن سبعة عشر سنة..

قال ابن عباس رضي الله عنه: توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم[2].

ثانياً: البناء العبادي

وحتى يظل غرس العقيدة قوياً في النفس، لابد من أن يُسقى بماء العبادة بمختلف صورها، وأشكالها، فبذلك تنمو العقيدة في الفؤاد وتترعرع وتثبت أمام عواصف الحياة وزعازعها[3].

والطفولة ليست مرحلة تكليف، وإنما هي مرحلة إعداد وتدريب وتعويد للوصول إلى مرحلة التكليف. وعبادة الله تفعل فعلاً عجيباً في نفس الطفل:

- تشعره بالاتصال بالله عز وجل.
- وتهدئ من ثوراته النفسية.
- وتلجم انفعالاته.
- جاء في **الصلاة** عن النبي ﷺ قال: «**علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر**»[4].

---

(1) طبقات الحفاظ للسيوطي، ص: 154.
(2) البخاري (فضائل القرآن).
(3) تجربة التربية الإسلامية - محمد سعيد رمضان البوطي، ص: 40.
(4) الترمذي (الصلاة - 372).

- وفي **الصيام** حديث عمر ﷺ لنشوان في رمضان: ويلك وصبياننا صيام[1]. قال الشافعي ﷺ: إنهم يؤمرون بالصيام للتمرين عليه، وحدّه بالسبع والعشر كالصلاة.
- وفي **الحج** ذكر ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ لقي ركباً بالروحاء، فرفعت امرأة صبياً فقالت: ألهذا حج؟ قال: «**نعم ولك أجر**»[2].

ومن الوسائل التي تعين الأسرة على تقوية الجانب الإيماني عند الطفل:

- إيقاظ الطفل لأداء صلاة الفجر في المسجد، ومتابعته في بقية الصلوات، أما الطفل الذي لم يعوِّده أبواه على الصلاة منذ سن السابعة، ويكون قد تخطى العاشرة فلا يصح معه العقاب البدني إلا بعد فترة طويلة من التدريب المتدرج، حتى يتعود الصلاة، وذلك عوضاً عن فترة التمهيد والتدريب التي حددها رسول الله ﷺ بثلاث سنوات من السابعة إلى العاشرة.
- مشاركة الوالدين لأولادهما في أذكار اليوم والليلة، وعند قراءة الورد القرآني بحيث يتجمع أفراد الأسرة حتى تتنزل عليهم الرحمة والسكينة، وإظهار الخشوع في القراءة، مع متابعة الطفل وتعويده على حفظ القرآن. وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**من قرأ القرآن وعمل به ألبس الله والديه تاجاً يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس**»[3].
- تشجيع الأولاد على المشاركة ودعوة زملائهم للنشاط المسجدي.
- مكافأته على تحرِّيه الدائم للحلال والحرام، وعلى التخفِّي بالطاعات لتنمية ضميره الديني والخلقي، يقول رسول الله ﷺ: «**ما أسرّ أحد سريرة إلا كساه الله جلبابها إنْ خيراً فخير، وإنْ شراً فشر**».
- تدريبه على البذل والعطاء، بإخراج الصدقات من مصروفه الخاص[4].

---

(1) البخاري (كتاب الصوم - باب صوم الصبيان).
(2) مسلم (الحج - 2377).
(3) أبو داود (الصلة - 1241).
(4) مجلة المجتمع 30/ 11/ 1998.

ثالثاً: البناء العلمي

وطلب العلم فريضة في شريعة الإسلام..

عن الحسن بن علي رضي الله عنه أنه قال لبنيه ولبني أخيه: تعلَّموا العلم فإنكم إن تكونوا صغار قوم تكونوا كبارهم غداً فمن لم يحفظ فليكتب.

قال الشافعي: إذا تصدر الحدث فَاته علم كثير. ومعنى ذلك: تفقهوا وأنتم صغار، قبل أن تصيروا سادة فتمنعكم الأنفة عن الأخذ عمن هو دونكم فتبقوا جهالاً.

ولقد سار في طريق العلم أطفال، فنالوا شرف الريادة العلمية.. قال البخاري: أُلهمت حفظ الحديث وأنا في الكتّاب قيل له: كم أتى عليك إذ ذاك فقال: عشر سنين أو أقل.

وأهم ركن في البناء العلمي للطفل حسن اختيار معلمه..

◄ قال ابن سينا في كتاب السياسة - سياسة الرجل ولده -: فينبغي أن يكون للصبي مؤدب عاقل ذو دين، بصير برياضة الأخلاق، حاذق بتخريج الصبيان، وَقُور رزين، بعيد عن الخفَّة والسخط، قليل التبذُّل والاسترسال بحضرة الصبي، وأن يكون حلواً لبيباً ذا مروءة ونظافة ونزاهة.

◄ وقال عتبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده: يا عبد الصمد: ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح نفسك، فإنَّ أعينهم معقودة بعينيك، فالحسنُ عندهم ما أستحسنتَ، والقبحُ عندهم ما استقبحت، وعَلِّمهم كتاب الله ولا تستكرههم عليه فيملّوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، وروهم من الشعر أعفه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يُحكموه، فإنَّ ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم، وتهددهم بي وأدبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الرفيق لا يضع الدواء إلا بعد معرفة الداء، وروّهم سير الملوك، وجنِّبهم محادثة النساء، ولا تتكلَنْ على عذر مني فإني اتكلت على كفاية منك[1].

---

(1) نصيحة الملوك الماوردي، ص: 172.

وعلى المعلم المربي أن يوجه تلميذه إلى إجادة اللغة العربية فهي مفتاح العلوم، والاهتمام باللغات الأجنبية توسعة لمداركه.. وأن يهتم بالعلوم التي تميل إليها نفسه، وأن يحرص على أن تكون له مكتبة خاصة به.

رابعاً: البناء الاجتماعي

والتربية تقوم على المدرس، وعلى تفاعل الطالب مع بيئته الاجتماعية، فالتربية لا تتم في فراغ.

◄ في الحديث عن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: «**يا أبا عُمير، ما فعل النُغير**» طائر كان يلعب به، ونضح بساطاً لنا قال: فصلى عليه وصفَّنا خلفه[1].

◄ قال المهاجرون لعمر بن الخطاب ﷺ (وقد جعل ابن عباس من أهل الشورى): ادع أبناءنا كما تدعو ابن عباس، قال: ذاكم فتى الكهول إنَّ له لساناً سؤلاً وقلباً عقولاً.

◄ وعن أنس ﷺ قال: جاء رسول الله ﷺ فسلم على الصبيان يلعبون[2].

◄ وفي الحديث أنَّ رسول الله ﷺ كان يزور الأنصار فيسلم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم ويدعو لهم[3].

◄ ومن هديه أنَّه كان يزور الصبي إذا مرض.. ويحثُّهم على اختيار الصاحب الصالح والابتعاد عن جليس السوء..

وباختصار فقد اهتم الإسلام بالبناء الاجتماعي في شخصية الطفل وتقويمها وتهذيبها واستقامتها.

---

(1) البخاري (الأدب - 5735)، ومسلم (الآداب - 4003).
(2) أحمد (مسند المكثرين من الصحابة - 12552)، والبخاري (الاستئذان - باب التسليم على الصبيان)، ومسلم (السلام - باب استحباب السلام على الصبيان) واللفظ لأحمد.
(3) النسائي.

خامساً: البناء الأخلاقي

يقول الشيخ محمد الخضر حسين (شيخ الأزهر سابقاً): إنَّ الصبي يولد على الفطرة الخالصة والطبع البسيط، فإذا قوبلت نفسه الساذجة بخلق من الأخلاق نقشت في لوحها[1]. والبناء الأخلاقي يقوم على:

خلق الأدب

- في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أكرموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم**»[2].
- الأدب مع **الوالدين**، قال تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾[3].
- والأدب مع **العلماء**، قال النبي ﷺ: «**ليس من أمتي من لم يُجِلَّ كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالِمنا حقه**»[4].
- والأدب مع **الأخوان**.
- والأدب مع **الجيران**.
- وضرورة تعليم الصبي أدب **الاستئذان** وآداب **الطعام**، ومن الآداب: أن يحرص على هندامه وإكرام شعره وأن يكون كما وصفه النبي ﷺ شامة بين الناس.

خلق الصدق

والصدق يكون أصل من أصول الأخلاق الإسلامية.. ولقد حذَّر النبي ﷺ الأهل من الكذب حتى لا يأخذ عنهما الطفل هذا الخلق الذميم.

والصدق يكون في القول، والصدق في الموعد، والصدق في العهد، كلها أصول في البناء الأخلاقي للطفل[5].

---

(1) السعادة العظمى - محمد الخضر حسين، ص: 60.
(2) ابن ماجه (الأدب - 3661).
(3) سورة الإسراء، الآية: 23.
(4) أحمد (باقي مسند الأنصار - 21693).
(5) من كتاب منهج التربية النبوية للطفل (سويد)، ص: (155-175) باختصار.

سادساً: البناء العاطفي والنفسي

والعاطفة أمرٌ مهم في بناء شخصية الطفل.. فكيف نبني هذه العاطفة؟ هناك وسائل ركزت عليها التربية الإسلامية في التعامل مع الطفل منها:

1 - القبلة والرأفة والرحمة:

2 - المداعبة والممازحة.

3 - الهدايا والعطايا.

4 - مسح رأس الطفل.

5 - حسن استقبال الطفل.

6 - تفقد حال الطفل والسؤال عنه في صحته ومرضه..

ولابد من الإشارة هنا أن الحديث عن الطفل يشمل الفتى والفتاة.. إلا ما اختصت الشريعة أحدهما بأمر من الأمور[1].

بعض الآباء يبخلون بإظهار عاطفتهم تجاه أطفالهم، لأسباب تعود لطريقة نشأتهم، أو اعتقاداً منهم أن إظهار الحب للطفل يفسده، ونجدهم لا يعطون أطفالهم اهتماماً كافياً، لانشغالهم عنهم بمشاكلهم الشخصية، ولا يجدون الوقت للجلوس معهم.. مثل هؤلاء الآباء، يدفعون أطفالهم نحو طريق التمرد والهروب من ضغط الحياة، وقسوتها تعبيراً عن نقمتهم على المجتمع، نتيجة إحباطهم وشعورهم بالظلم[2].

سابعاً: البناء الجسمي والصحي

التربية الإسلامية تربية شاملة، تشمل الجسم والعقل والعاطفة والنفس والروح.. من أهم وسائل العناية بالجسم عند الطفل:

1 - **اللعب**.. وللألعاب: نوعها ولونها وشكلها دور في تنمية الجسم والعاطفة والنفس معاً.

---

(1) منهج التربية النبوية للطفل - سويد، ص: 179.

(2) التربية الخاطئة وعواقبها - زهرة عاطفة زكريا، ص: 47.

ولقد خصّ النبي ﷺ أنواعاً معينة من الرياضة مثل: السباحة والرماية وركوب الخيل.. وهي أنواع كانت سائدة.. وليس هناك من سبب يمنع من قياس جميع أنواع الرياضة المفيدة على ذلك.. ومن ذلك: المسابقات الرياضية بين الأطفال، ولعب الكبار مع الصغار، ولعب الصغار مع الصغار.

2 - كما اهتم الإسلام بكل ما يحفظ على الطفل صحته ويقيه الأمراض، فالعقل السليم في الجسم السليم.

ثامناً: تهذيب الدافع الجنسي عند الطفل

كثير من الآباء يعتبرون أسئلة الطفل غريبة ويتهربون من الرد عليها أو يردون عليها ردوداً مبهمة أو بعيدة كل البعد عن الحقيقة، ولا سيما إذا كانت أسئلة تتصل بالمسائل الجنسية.

مما يترتب على ذلك شغف الطفل بها فيشعر بأهميتها وضرورة التفكير فيها (فكل ممنوع مرغوب).. ومن المفيد جداً أن يجيب الآباء أطفالهم إجابة صحيحة هادئة تتسم بالإقناع بما يلائم مقدرة الطفل على فهم الأمور.

فالتربية الجنسية للطفل يجب ألا تُترك للصدفة، بل لابد أن تبدأ في المنزل وتستمر في المدرسة. وعندما يكبر الطفل ويصبح في مقتبل سن المراهقة تُعطى له معلومات واضحة عن الجنس السليم ومخاطره إذا انحرف الفرد وانساق وراء نزواته[1].

دور الشارع في التربية

وإذا كان البيت هو المجتمع الأصغر بالنسبة للطفل.. يتلقى فيه المعالم الأولى لشخصيته.. ويقضي فيه أكثر وقته بين أمه وأبيه وإخوته.. فإنه سيأتي وقت يخرج فيه إلى المجتمع الأكبر..

يخرج إلى الشارع حيث يرى أناساً غير الذين تعوَّدهم، ويجد أقراناً أشكالاً وألواناً يتعامل معهم..

---

(1) طفلك الصغير، هل هو مشكلة - محمد كامل عبد الصمد، ص: 197.

كان الطفل في البيت مضبوطاً بقدوة وتوجيهات أبويه وبالمنهج التربوي الذي أخذاه به، وهو اليوم يقابل في الشارع القرين الصالح وقرين السوء.. الولد المؤدب والولد الفاسد. في الشارع قد يكتسب الطفل عادات وأخلاقيات سيئة. وهنا يحتاج من القائمين على تربيته داخل البيت أو خارجه، إلى مراجعة ومتابعة وإعادة ضبط.. وتصحيح سريع قبل أن تتمكن الانحرافات منه. ولكن ليس بحرمانه من الشارع وحبسه في البيت، بل بمزيد من الجهد يبذل مع الطفل.. مزيد من النصح والتوجيه.. ومزيد من استنفاد الطاقة في الخير.. ومزيد من شغل أوقات الفراغ في العمل النافع.

في هذه البيئة الخارجية المفتوحة يجتمع الصغار وتتشكل منهم جماعات مختلفة في الحجم والتنظيم والأنشطة والأهداف بحسب العمر والجنس والوسط، وتنتظمهم ثقافة خاصة بهم ويتحركون في مجال اجتماعي لا سلطة فيه للكبار. تجمعهم إلفة السن، وميل الطفولة، وحب اللعب. ومن ثم تصبح لهذه التجمعات وظائف تربوية، منها إشعار كل فرد بقيمته المتساوية مع الغير، وإثبات القدرة على مشاركة الآخرين في أنشطة مختلفة تدعو للمهارة والتكيف وتعلم أدوار الكبار حيث يقلد الصغار نماذجهم في العمل والحياة.

في الشارع يصادف الفتى مؤسسات كثيرة منها المسجد وفريق كرة القدم والفريق الرياضي والمكتبة والنادي والسينما وغيرها.. والتوجيه غير المباشر للأبوين يساعد على توجيه الفتى نحو النافع المفيد من هذه المؤسسات.

دور المدرسة في التربية

ثم يذهب الطفل إلى المدرسة.. وهي إحدى المؤسسات الهامة في المجتمع. ومدرسة اليوم تقوم مقام المسجد سابقاً، حيث كانت تعقد الدروس، وتجري المناظرات، وتناقش العلوم المختلفة، ويتخرج جيلٌ عالمٌ على أيدي فقهاء وعلماء أفذاذ.. ومع بدايات هذا القرن وسقوط العالم الإسلامي تحت النفوذ الغربي.. غيّر الغرب الحاكم من أسلوب الحياة في بلاد المسلمين.. فأصبح المسجد مجرد مكان لإقامة الشعائر التعبدية.. وحَلَّت مكانه المدرسة العصرية التي تدرس **البرامج العملية** بروح غربية علمانية، وأصبحت مادة التربية

الإسلامية.. مجرد درس في المنهاج.. وفي كثير من البلاد لا يحاسب عليها الطالب دَرَسها أم أهملها.. أما **الأساتذة** فهم خريجو هذه المدارس.. يعرف المعلم عن التربية اليونانية والرومانية والعصور الوسطى المسيحية والعصور الحديثة ما لا يعرفه عن التربية الإسلامية في عصورها الزاهرة، فالمعلم بصورته الحالية لم يعدّ ليكون معلماً في مجتمع مسلم يعتز بفكره التربوي وتراثه الإسلامي وانتمائه إلى أمة إسلامية واحدة، إنما يعد ليكون عبداً مردداً للفكر الوافد.

وأما **البرامج** فبرامج الغرب بكل ما تحويه من فكر معاد للدين بعامة وللإسلام على وجه الخصوص.

ونشأ جيل ينتسب إلى الإسلام.. وليس له من الإسلام إلا الاسم..

أما فكره وعقله فمع الأعداء..

يقول رئيس الإتحاد العالمي للصحة النفسية: إنه من خلال بحث بالتعاون مع الأمم المتحدة للوقاية من المخدرات والعنف في المدارس المصرية، ظهر غياب الدور النفسي والاجتماعي للمدرسة، وأن هناك نقصاً شديداً في قدرات المدرس التربوية وقدراته على التعامل مع الأزمات.

إن دور الأسرة لا ينتهي مع دخول الطالب المدرسة.. بل يزداد.. فالطفل الذي كان تحت أعين الأم.. أصبح الآن في عالم آخر ومجتمع آخر ومؤثرات أخرى.. مما يزيد من مسؤولية الأسرة في إبعاد الآثار السلبية عنه وتقوية الأمور الإيجابية فيه.

ولأن الإسلام هو **عقيدة** الأمة التي لا تغلب.. وبتأثير الصحوة الإسلامية المباركة التي أزكتها الحركات الإسلامية في العالم.. أصبحت المدارس والجامعات التي قامت على مناهج الغرب وأفكاره هي المحضن لاستنبات البراعم المسلمة.

واستطاعت الأجيال التي تخرجت من هذه المدارس خلال نصف القرن الأخير.. أن ترفع راية الإسلام.. وتقود الأمة نحو إعادة البناء.

وأصبحت مواد الثقافة والعقيدة الإسلامية التي أهملتها المدارس يتدارسها الفتيان فيما بينهم خارج مبنى المدرسة.

والطفل يدخل المدرسة وهو ابن ست سنين ويتخرج من الجامعة وهو ابن اثنتين وعشرين سنة أو أكثر.. يدخلها طفلاً ويخرج منها شاباً.. وفي هذه السنين.. ومع صحبة المكتب تتكامل شخصيته.. إما شخصية إيجابية فاعلة.. وإما شخصية سلبية مائعة.. من هنا كان لزاماً على القائمين على أمور التربية وخاصة الأسرة، أن يبذلوا مزيداً من الجهد مع طلاب المدارس.. داخل المدرسة وخارجها.

وحتى تُحقق المدرسة أهدافها التربوية، لابد من ملاحظة ما يلي:

- إن التمييز الذي يتم غالباً بين التعليم والتربية غير صحيح ومضلل.. ويُسهم في بناء شخصية متناقضة لدى الطالب.
- بالإضافة إلى منهاج المدرسة الظاهر وما يتضمنه من مواد ومحتويات، هناك منهاج كامن هو منهاج القيم الضمنية المتمثل في إدراج هذه المادة أو تلك ضمن المنهاج أو إقصائها، والمتمثل كذلك في طرائق التعليم، وفي أنظمة الترغيب والإثارة والانضباط المطبقة، وفي العلاقات السائدة بين المعلم والطالب وبين التلاميذ أنفسهم وبين أعضاء هيئة التدريس.

فالمدرسة عامل تنشئة اجتماعية قوي يعلم الطفل أشياء كثيرة عن نفسه وعن تفاعلات الأفراد أو المجموعات سواء معه أو فيما بينهم.

- لابد من أن يعلم المدرس أنه لا يشكل إلا واحداً من التأثيرات التربوية الكبرى في حياة الطالب إلى جانب البيت والرفاق والجماعة ووسائل الإعلام.
- على الصعيد التطبيقي يضبط المنهاج ومحتواه والطريقة التربوية وحتى الكتب المدرسية من قبل سلطة مركزية لا تسمح بأي تجاوز.. وهو أمرٌ لا يُراعي الفرق بين فرد وفرد وبيئة وبيئة.
- من الضرورة بمكان إعداد دورات للمدرسين.. تزودهم بزاد معرفي وقضايا تربوية تساعدهم في عملهم التعليمي التربوي. فالمعلم لا يقدم المعرفة وحدها بل لابد أن يقدم القدوة ويحيط طلابه بالحب ويربيهم على الصفح والتسامح ومحبة الخير للجميع.

◄ تشكل السنوات العشر الأولى من حياة الفرد، الفترة التي يكتسب فيها الطالب عدداً متزايداً من المفاهيم المحسوسة المتصلة بالعالم وبالأشخاص الذين يسكنونه وبالعلاقات السببية التي تحكمه. وبصفة عامة يشكل التعليم الابتدائي مرحلة هامة في عبور الطفل من مرحلة الخيال إلى الواقع، ومن التفكير بذاته إلى نظرة أكثر موضوعية للأمور. . ومن مفهوم السيطرة المطلقة لا للرغبات إلى تصور واقعي لِلْأنا بوصفه عاملاً فعالاً في عالم تُسَيّره القوانين.

◄ يتأثر الطفل في نموه العقلي والوجداني والأخلاقي، وفي تصوره لذاته، تأثراً عميقاً ومستمراً بكل ما يجري له في البيت والمدرسة وفي ميدان اللعب وفي المدينة وفي الريف. ولا يمكن تجزئة عالمه دون خطر على وحدة نموه، فالفصل بين التعليم والتربية، وبين الخبرات العائلية وخبرات المدرسة، وبين التربية العقلية والتكوين الأخلاقي أمرٌ اصطناعي له في أغلب الأحيان آثار مؤسفة.

أما مهمة الكبار الذين يعتنون بالطفل فهي متشعبة: فهم يمثلون السلطة في نظره، وهو يتقمص بهم، وهم يوفرون له الأمن والشعور بأنه مقبول ويمكّنونه من مناسبات لاكتساب الخبرة ويحثونه على بذل الجهد. كما أن كل شيء يعطونه قيمة سيكون له تأثير كبير، ولو كان الطفل رافضاً له. وكلما كان هؤلاء الكبار قادرين على تهيئة جو من القبول الودود حول الأطفال، كانوا أقدر على إثراء شخصية الطفل وتعميقها[1].

◄ إن السنوات **الإحدى** عشر أو الاثنتي عشرة الأولى من حياة الطفل هي التي ستحدد سلوكه المعرفي والوجداني أثناء اضطرابات المراهقة، كما أن قدرته الحالية والمستقبلية على التعلم ومواصلة التعليم، وعلى حل المشاكل، ورد الفعل بثقة وبتفهم على الظروف والتحولات التي تطرأ على محيطه بين سن العاشرة وسن العشرين وفيما بعد ذلك، ترتبط ارتباطاً كبيراً بخبرته المعاشة منذ الولادة[2].

(1) التربية البناءة للأطفال - و. د. وول، ص: 276.
(2) المرجع السابق، ص: 372.

وهكذا تستطيع المدرسة كمؤسسة علمية تربوية إذا أحسن توجيهها، وأدت دورها على أكمل وجه، أن تقوم بتربية الطالب من النواحي:

1 - العقلية وشحذ ملكة الإدراك وكسب العلوم والمعارف.

2 - والجسمية بالرياضة والألعاب.. فهي من أحسن ما يعصم الطالب من مزالق السوء والانحرافات.. فالفراغ يأتي على رأس أسباب الفساد.

3 - والدينية والخلقية كتب الرشيد إلى معلم ولده الأمين فقال:

(إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة، وكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين.

أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجالسه، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتني فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه. وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أَبَاهُما فعليك بالشدة والغلظة[1].

دور المسجد في التربية

للمسجد في المجتمع الإسلامي دور تربوي كبير.. فيوم أسس النبي القائد ﷺ دولة الإسلام في المدينة، أسس معها المسجد ليكون قلب الدولة النابض ومركز قيادتها.

والدولة الإسلامية ليست مجرد تشريعات وأوامر.. وإنما بناء تربوي يتخلص فيه المسلمون من أدران الجاهلية.. وقذارات القبلية العنصرية.. ومن رجس السلوك الفاحش.. ويبني مكانه الإنسان المسلم الرباني الذي يألف الناس ويألفونه.. والذي يعتبر العبادات مدارج للكمال الإنساني يرتفع بأدائها كل يوم درجة.. فيتحول من إنسان عادي إلى مسلم رباني يساهم في بناء الحياة الأمثل والأفضل.. ويتم هذا التحول في المسجد.

---

(1) تربية المراهق - محمد جمال الدين محفوظ، ص: 142.

لقد كان المسجد المحَضْن الذي اتخذه رسول الله ﷺ لتغيير سلوك أصحابه وتربيتهم وفق التعاليم الإسلامية.

من هنا فإن المسجد هو أهم مؤسسة تربوية على الإطلاق.. في أجوائه يحدث التفاعل والتعامل والتعاون والحياة والحركة بين عموم المسلمين.. كبيرهم وصغيرهم، شيوخهم وشبابهم، رجالهم ونسائهم، غنيهم وفقيرهم، الرئيس والمرؤوس، والقائد والمقود، كلهم يجمعهم المسجد في اليوم خمس مرات. ومن وسام التفوق أن يكون الرجل قلبه معلقاً بالمساجد لا يكاد يخرج منها حتى يعود إليها، وهو من الأصناف الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم القيامة ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴿٢٩﴾﴾[1].

ينصهر المسلمون في المسجد كما تنصهر المعادن.. فتخرج نقية ثمينة.. كذلك الحال بالنفوس والقلوب والأبدان والأرواح المنصهرة في بيوت الله تتهذب بالصلاح والخير، وتتسلح بالعلم والمعرفة، وتلبس ثوب الإيمان والتقوى، وتجاهد الهوى والنفس والشيطان والدنيا ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾[2].

هذه هي رسالة المسجد.. وهذا هو المسجد الذي يثرز إليه المؤمنون ليزدادوا إيماناً.. وليقوموا بدورهم كاملاً في بناء الحياة.

من المساجد كانت البداية

ولما كانت الانطلاقة الأولى للدعوة الإسلامية مصدرها المسجد، وكان الرجال الأوائل الذين حملوا اللواء ولبوا النداء أشبال المسجد، وكان العلماء والفقهاء خريجي بيوت الله، وكانت النهضة الحضارية الإسلامية مبعثها المسجد، لهذه الأسباب كان[3] لابد من إعادة دور المسجد كاملاً، مركزاً للعبادة.. ومدرسة للتعليم.. ونادياً للتربية.. ووسيلة نظيفة إيمانية لبناء شخصية المسلم

(1) سورة الأعراف، الآية 29.
(2) سورة الأنعام، الآية: 162.
(3) الدعوة إلى الله - د. توفيق الواعي، ص: 380.

الذي سيعيد مجد الأمة المسلمة.. ولابد للحركات الإسلامية التي تحاول أن تكون صدى الدعوة الأول من أن تتخذ من المساجد المحضن الأول في تربية جيلها تأسياً بفعل النبي ﷺ وعبقريته في البناء. لقد استطاعت القوى الباغية أن تحارب دعاة الإسلام في عملهم وبيوتهم وتصادر حرياتهم.. ولكنها في معظم الحالات لن تستطع إغلاق المساجد.

سئل الإمام مالك رضي الله عنه عن رجل يأتي بالصبي إلى المسجد أتستحب ذلك؟ قال: إن كان قد بلغ موضع الأدب وعرف ذلك ولا يعبث فلا أرى بأساً.

وهكذا يلج الطفلُ المجتمع الكبير من كل أبوابه..

وفي هذه الساحة الواسعة، يتعرف تدريجياً على الصورة النهائية لهذا المجتمع: قيمه ومبادئه وأفكاره وعاداته وتقاليده وأنماط سلوكه ودوافعه وأخلاقياته وطرق تعامله ومستوياته المختلفة في كل اتجاه. ومع المعرفة واكتساب الخبرة يكون الطفل عرضة للتأثر أكثر كثيراً من أن يؤثر فيه.

والمجتمع خاصة هذه الأيام، يَعُج بالمنكرات: رفاق السوء.. الإعلام الهابط.. النساء العاريات.. الدعوة شبه العلنية للفساد.. البرامج التعليمية.. قنوات التلفزيون الفضائية.. وسائل التسلية.. وكل ذلك يشكل ضغوطاً هائلة على الفتى.. تطبق عليه وتحاول الإيقاع به.. أكدت دراسة بعنوان (دور التلفاز في تكوين الوعي الاجتماعي ضد الجريمة) أن الأطفال يرون مجرماً كل 17 دقيقة ومشهد جريمة أو عنف كل 13 دقيقة، حيث يقضي أطفالنا عشرين ألف ساعة بمعدل 3 ساعات يومياً أمام التلفاز منذ أن يبلغ عمرهم عامين حتى بلوغهم الثامنة عشرة. وتوضح نظرية التعليم بالملاحظة أن الناس يميلون دائماً إلى تقليد السلوك الذي يمدهم بالقوة والهيمنة في المجتمع.

لقد دلت الدراسات النفسية أن 80% من الآباء والأمهات تخلوا عن مسؤولياتهم.. وتركوا أطفالهم إلى الإعلام ليوجه سلوكهم.

وكما يعج المجتمع بالمنكرات.. فإن فيه عناصر إيجابية.. تجذب الفتى وتؤثر فيه، فهناك الجماعة الإسلامية في المدرسة، وزملاء المسجد، وفريق كرة القدم الذي يضم عناصر مؤدبة، وشلة الحارة الذين يغضون طرفهم عن

المنكرات، ويهرعون إلى المسجد عندما يسمعون النداء، وزملاء النادي، هذه العناصر الإيجابية تستهوي الفتى وتدفعه إلى تزكية نفسه والارتقاء بمجتمعه وإعادة بناء أمته. في هذه المرحلة ينبغي أن ينتبه الأبوان إلى الابن.. فقد رعوه طفلاً، واهتموا به ناشئاً.. واليوم جاءت المرحلة التي يقطفون فيها الثمرة فيكون طفلهم رجلاً متميزاً. للأسرة اليوم دور رئيس في تسديد الفتى.. فإذا أهملاه ضاع.. وإذا سدداه وأرشداه.. وتدخلا برفق في توجيهه نحو الرفيق الذي يصاحبه.. أو الكتاب الذي يقرأه.. أو المدرسة التي يختارها.. أو الشلة التي ينتمي إليها.. أو المسجد الذي يؤمّه.. إذا فعلا ذلك فقد أَسْهَما في وضع فتاهم في الإطار الاجتماعي المأمون.

أهم الآداب التي تهتم الأسرة بغرسها عند الطفل

- آداب الطعام، فأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام.
- آداب اللباس والابتعاد عن ثياب الشهرة.
- التعود على الخشونة في المأكل والمشرب والملبس.
- الصحبة الطيبة وإبعاده عن قرناء السوء، ويمنع أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه أبواه.
- أن يكرّم على الخلق الجميل ويجازى عليه بما يفرح به، ويُمدح بين أظهر الناس.. فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يُتغافل عنه ولا يهتك ستره، ولا يُكاشف، ولا سيما إذا ستره الطفل واجتهد في إخفائه. فإن عاد ثانية فينبغي أن يُعاتب سراً ويقال له: إياك أن تعود لمثل هذا.. فتفتضح بين الناس، ومع ذلك فلا تُستخدم معه لغة التعنيف الشديد عند الخطأ.
- وينبغي أن يُمنع من كل ما يفعله خفية، فهو لم يخفه إلا وهو يعتقد أنه قبيح، فإذا تُرك تعود فعلَ القبيح.
- يُعوّد على المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل.
- يُعلّم آداب الجلوس.. وآداب الحديث.. وأن يحسن الاستماع.

- توقير من هو أكبر منه سناً.. بالاستماع له.. وأن يوسع له المكان.. ويجلس بين يديه.
- تعليمه القرآن والحديث، وأحاديث الأخبار، ليغرس في قلبه حب الصالحين.
- تهذيب اللسان وإبعاده عن لغو الكلام وفحشه وكثرته واللعن والسب.

آداب اللعب

- يُعلّم طاعة الوالدين ومعلميه ومؤدبيه ومن هم أكبر منه سناً من قريب أو بعيد.
- ويعلم التواضع والإكرام لمن يعاشره.
- ويعود أن لا يبصق في مجلسه ولا يتمخط، ولا يضع رِجْلاً على رِجْل.
- ويُعلّم آداب الطهارة والصلاة وأداء العبادات.. من باب التمرين.
- يخوف من السرقة وأكل الحرام.. ومن الخيانة والكذب والفحش.
- ويعرّف أن الدنيا دار ممرّ.. وأن الآخرة هي دار المقرّ[1].

إن الأسرة التي تدرك مسؤولياتها تجاه أبنائها تهتم بتربيتهم أشد الاهتمام. فهم في الدنيا زينة وفخر وفي الآخرة أجر وستر، قال النبي ﷺ: **«إن الرجل لترفع درجته في الجنة، فيقول: أنى لي هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك»**[2].

(1) إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي 3: (72-74).
(2) ابن ماجه (كتاب الأدب - 3650).

خلاصة الفصل العاشر

مرحلة الطفولة

الطفولة بين الدراسات التربوية الغربية والإسلامية.

أثر البيت في تربية الطفل.

- الطفل يولد مرتين.
- الطفل أمانة عند والديه.
- الطفل يولد على الفطرة.

عناية الإسلام بالأسرة.

- التشريعات.
- التوجيهات.
- التوازن العائلي.

حقوق الطفل قبل الولادة (العناية بأمه، الإنفاق عليها، الحدّ، الإرث، الصوم).

حقوق الطفل عند الولادة (الفرح به، يؤذن في أذنه، يحنك، يسمى أحسن الأسماء، العقيقة، يحلق رأسه ويتصدق).

حقوق الطفل بعد الولادة (مكانته في المجتمع، حضانته، رضاعته، الإنفاق عليه، رعايته، تهذيبه).

الطفل في أيامه الأولى

- الثقة والحب.
- دور اللعب.
- في مرحلة الرضاعة.
- في مرحلة الفطام.

بناء شخصية الطفل

الحب (الرحمة والإحسان، العدل بينهم).

الضبط.

القدوة (الطفل يتكلم، بين مرحلتين، يكتشف نفسه).

التلقين والتوجيه (الوقت المناسب، الفضائل ومكارم الأخلاق، اختيار الأصدقاء، يدعوان له، يشجعانه، يشاورانه).

الثواب والعقاب

◄ خَطا الخوف والرجاء.

◄ بين الخوف والتخويف.

◄ سلوكيات غريبة (العند، الشقاوة، الغيرة، الكذب، السرقة، نوبات الغضب، السلوك العدواني).

◄ العقوبات الحسية.

◄ ضرورة المكافأة.

تكوين العادات

◄ (عوّدهم الخير فإن الخير عادة).

التربية بالحدث

التربية بالقصة

◄ كتاب الطفل.

التربية بالجهد الفائض

التربية بالوقت الفائض

◄ اللعب.

شخصية الطفل

البناء العقائدي

البناء العبادي

البناء العلمي

البناء الأخلاقي

خلق الأدب.

خلق الصدق.

البناء العاطفي والنفسي (القبلة، الهدايا، مسح رأس الطفل، حسن استقبال الطفل، تفقد أحواله، الاهتمام به).

البناء الجسمي والصحي

◄ اللعب.

◄ العقل السليم في الجسم السليم.

تهذيب الدافع الجنسي

دور الشارع في تربية الطفل

دور المدرسة في تربية الطفل

◄ المدارس العصرية (المدارس، المنهاج، الكتاب).

◄ بين التربية والتعليم.

◄ المنهاج الظاهر والآخر الباطن.

◄ التفاعل بين المدرسة والبيت والشارع والجماعة والإعلام في تربية الطفل.

◄ دورات المدرسين.

◄ تقوم المدرسة على إشباع الطالب (عقلياً وجسمياً ودينياً وخلقياً).

دور المسجد

◄ أهمية المسجد.

◄ الدولة الإسلامية.

◄ الدعوة الإسلامية والمسجد.

دور المجتمع الكبير

أهم الآداب.